سلسلة : -

الرِماح السَّمهرية على الطواغيت والجهمية

(١)

كتبها : -

أبو براءة السيف

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان التوحيد وتفسير الشهادتين وبعض أنواع العبادة

مقدمة :-

الحمد لله مُعز التوحيد بنصرة ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، قاهر الجبارين ، وهازم الأحزاب المشركين ، وناصر عباده الموحدين إلي يوم الجمع والدين ..

والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين ..

أما بعد ..

فإعلموا إخوة التوحيد أن الغاية من خلق الجن والإنس في هذه الحياة الدنيا هي عبادة الله وحده لا شريك له ، قال تعالى : (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) (الذاريات ٥٦) ، " إلا ليعبدون " أي إلا ليوحدون كما ذكر المفسرون .

و**التوحيد** لغة : من وَحّدَ يوحد ، ووَحّدَ الشئ إذا جعله واحداً في الأمر ، وضده **الشرك** وهو إذا جعل أكثر من واحد شركاء في الأمر الواحد .

التوحيد شرعاً: أفراد الله وحده لا شريك له بما أختص به من خصائص الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

و**الشرك** شرعاً: أن تجعل لله نداً – وهو خلقك – فيما أختص به سبحانه من خصائص الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

- إن جميع الأنبياء والرسل بعثوا بعبادة الله وحده لا شريك له والكفر بكل ما يعبد من دونه من الأنداد والطواغيت والدليل قوله تعالى : (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**) (**الأنبياء٢٥**).

وقال تعالى : (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**) (النحل ٣٦).

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) متفق عليه .

وإخوة لعلات : أي يكون للرجل الواحد أبناء من زوجات مختلفات فهؤلاء الأبناء أخوة لعلات والعلة هي الضرة ، فهؤلاء الأنبياء مثل الإخوة لعلات الأصل واحد (التوحيد) والأمهات مختلفات (الشرائع) .

ديننا واحد : فهو التوحيد ولكن اختلفوا في الشرائع التعبدية كالصلاة والزكاة والصيام والحلال والحرام وغيرها قال تعالي : (**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**) (**المائدة ٤٨**) .

وكل الأنبياء كانوا يبدأون في دعوة أقوامهم بالتوحيد أولاً وهو قولهم : (**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) (الأعراف ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥) .

وهؤلاء الأقوام فهموا معني التوحيد الذي هو مراد الرسل منهم ، كما قال الله تعالي مخبراً عن بعضهم في مخاطبتهم لرسلهم : **(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)** (**الأعراف ٧٠**) .

- والتوحيد هو الذي بسببه قامت الخصومة والعداوة بين الأنبياء وأقوامهم الكفرة ، قال تعالي : (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**) (**النمل ٤٥**) .

وفي السنة أن ورقة بن نوفل قال للنبي صلي الله عليه وسلم : (**لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي**) جزء من حديث متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

فكل من جرد نفسه لحمل كلمة التوحيد والدعوة إليها والصدع بها في وجوه الطغاة والمشركين فسيناله – ولابد – نصيب من تلكم العداوة بحسب ما فيه من إلتزام بتلك الكلمة العظيمة ..

فعن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال " قلت : يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالأمثل من الناس ، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وان كان في دينه رقة خفف عنه وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشى على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة " رواه أحمد .

وهذه العداوة تبدأ من الإستهزاء والتسفيه والتحقير والتقليل من الشأن ثم السب والشتم والتحذير والتنفير مروراً بالحبس والضرب وأنواع الأذي المادي والمعنوي ثم الطرد والإبعاد وصولاً إلي القتل والتصفيه والإغتيال ..

قال تعالي عن حال نبي الله موسي عليه الصلاة والسلام مع الطاغوت فرعون : **(قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩))** (الشعراء)

ففرعون بدأ مع موسي عليه الصلاة والسلام بالإستهزاء **(قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ)** ، فلما وجد أن موسي ثابت علي التوحيد إنتقل إلي الشتم والتحقير **(قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ)** ، فلما وجد أن موسي ثابت علي التوحيد إنتقل للتهديد بالحبس والتنكيل **(قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)** .. فنسأله جل وعلا الثبات علي التوحيد حتي الممات .

وقال تعالي مخبراً عن مخاطبة الكفرة قوم شعيب لنبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام : **(قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)** (**هود ٩١**) .

وقال تعالي مخبراً عن مخاطبة الكفرة قوم نوح لنبي الله نوح عليه الصلاة والسلام : **(قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)** (**الشعراء ١١٦**) .

وقال تعالي مخبراً عن حال كفرة قريش مع سيد الأولين والآخرين محمد عليه الصلاة والسلام : **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)** (**الأنفال ٣٠**) . **لِيُثْبِتُوكَ** : أي ليحبسوك ويوثقوك بالقيود .

فهذه معالم الطريق ..

طريق مُعبدٌ بدماء الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، قال تعالي : **(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨))**

وفي قراءة **(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ)** . (آل عمران) .

والتوحيد أول ما فرضه الله علينا من الدين قبل الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وغير ذلك من شرائع الدين المهمة ، **فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان** " متفق عليه .

وفي رواية عند مسلم : " **بني الإسلام على خمس على أن يعبد الله ويكفر بما دونه ...** "

- وأول ما يدعي إليه الإنسان غير المسلم هو التوحيد ، فلا يؤمر إبتداءً بصلاةٍ ولا زكاةٍ ولا صومٍ ولا حجٍ ولا جهادٍ بل يؤمر بكلمة التوحيد أولاً .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب " متفق عليه واللفظ للبخاري .

وعن البراء رضي الله عنه قال " أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد فقال يا رسول الله أقاتل وأسلم ؟ ، قال (أسلم ثم قاتل) . فأسلم ثم قاتل ، فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عمل قليلا وأجر كثيرا) " رواه البخاري .

وفي الحديثين أعلاه نص واضح صريح في إن أول ما يدعي إليه الإنسان ويؤمر به هو التوحيد بعد ذلك يؤمر بالصلاة والزكاة والقتال في سبيل الله وغيرها من شرائع الدين المهمة .

- والتوحيد هو ليس مجرد قول " **لا إله إلا الله** " باللسان فقط دون الإلتزام بلوازمها واجتناب نواقضها بالقلب واللسان والجوارح ، وإلا فاليهود يقولونها والمنافقون يقولونها والمرتدون كأمثال مسيلمة الكذاب وأتباعه يقولونها ومع هذا لم تنفعهم ، فالتوحيد علم يُعلم ثم يُعمل به والدليل قوله تعالى : **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)** (محمد : ١٩) .

ولا يعصم دم الإنسان وماله وعرضه إلا بتحقيق التوحيد بالإتيان بلوازمه وإجتناب نواقضه ، فكل من تلبس بالشرك والكفر فالأصل فيه أن دمه وماله حلال وغير معصوم – إلا إذا كانوا من النساء والصبيان الكفار فالأصل فيهم عصمة الدم وتستثني من هذا الأصل المرأة المرتدة – قال تعالي : **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**

فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (**الأنفال ٣٩**) ، والفتنة هنا : هي الشرك والكفر كما ذكره الطبري عن ابن عباس وغيره .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) متفق عليه .

وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لقوم : (من وحد الله تعالى وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل) رواه مسلم وأحمد .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب معلقاً علي حديث أبي مالك : **(وهذا من أعظم ما يبيِّن معنى (لا إله إلا الله) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويالله من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع)** من مسائل الباب السادس من كتاب " التوحيد الذي هو حق الله علي العبيد " .

- وجميع الأعمال الصالحة لا تقبل إلا بالتوحيد فهو الشرط الأساس لقبول العمل الصالح والدليل قوله تعالي : **(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)** (الإسراء ١٩) ، والإيمان أول وأعظم ركن من أركانه الستة هو الإيمان بالله الذي هو من التوحيد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**) رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب .

وقال تعالي : (**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) (**النحل ٩٧**) .

وقال تعالي: (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ**) (**الأنبياء٩٤**)

بل إذا عمل الإنسان صالحاً وحدث منه ناقض للتوحيد حبط جميع عمله الصالح والدليل قوله تعالى : (**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) (**المائدة ٥**)

وقال تعالى : (**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) (**الزمر ٦٥**)

وقال تعالى : (**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) (الأنعام ٨٨) .

وقال تعالى : (**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) (البقرة ٢١٧) .

- وفاقد التوحيد إذا مات علي ذلك يحرم من الجنة ولا يغفر الله له الشرك قلَّ أو كثُر لأن الشرك أعظم الذنب وأظلم الظلم وأكبر الكبائر ، قال تعالى : (**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**) (المائدة ٧٢) .

وقال تعالي : (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**) (**النساء ٤٨**) .

وقال تعالي علي لسان لقمان الحكيم وهو يخاطب أبنه : (**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) (**لقمان ١٣**) .

وعن عبد الله بن مسعود قال : " سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) . قلت إن ذلك لعظيم قلت ثم أي ؟ قال (ثم أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك) . قلت ثم أي ؟ قال (ثم أن تزاني بحليلة جارك) " متفق عليه .

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " (أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور أو قال وشهادة الزور) " متفق عليه .

وأول ما ظهر الشرك في الأرض ظهر في قوم نوح ، **فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع كانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت** " رواه البخاري .

فبعدما حدث هذا الشرك بعث الله نوحاً إلى قومه يدعوهم إلى تحقيق التوحيد والكفر بالطواغيت وكان أول رسول بعث في الأرض يدعو إلي التوحيد ويحذر من الشرك والتنديد ، قال تعالي : (**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**) (النساء ١٦٣)

أقسام التوحيد : –

التوحيد كما بينه العلماء بحسب الإستقراء في الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهي :

١. توحيد الربوبية أو توحيد المعرفة والإثبات .
٢. توحيد الألوهية أو توحيد الإرادة والقصد والطلب .
٣. توحيد الأسماء والصفات .

وبعض العلماء يقسمه إلي قسمين :

١. توحيد المعرفة والإثبات ويشمل (توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات) .
٢. توحيد الإرادة والقصد والطلب ويشمل (توحيد الألوهية) .

وبحسب الثلاثة أقسام : –

(١) توحيد الربوبية :-

الرب في اللغة هو السيد المالك ، نقول رب الدابة أي سيدها ومالكها ، ورب البيت أي سيده ومالكه .
وتوحيد الربوبية هو توحيد الله جل وعلا **بأفعاله** ، أي علينا أن نعتقد إعتقاداً جازماً أن هنالك أفعال أختص بها الله تعالي وحده لا شريك له دون سواه فلا يستحق أن يفعلها إلا هو تبارك وتعالي كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وعلم الغيب وإنزال الغيث وإنبات الزرع والضر والنفع والإضلال والهداية وتدبير الأمر في السماوات والأرض والتشريع لعباده مايسيرون عليه في سائر حياتهم من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وتحليل وتحريم وعقوبات .

قال تعالي : (**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥))** (النمل) .

قال تعالي : (**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧))** (آل عمران) .

قال تعالي : **(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)** (الشوري ١٣)

قال تعالي : **(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)** (الأعراف ٥٤) .

قال تعالي : **(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** (لقمان ٣٤) .

فكل هذه الخصائص أختص بها الله جل وعلا وحده دون سواه ، فمن أدعي أن غير الله يمكن أن يخلق كخلق الله أو يرزق كرزق الله أو أنه يحي ويميت أو أنه يعلم بعض الغيب أو أنه يدبر أمر الكون أو أنه له أن يُشرِّع فيُحل ويُحرِّم ويُجيز ويمنع ، فقد أشرك مع الله غيره وجعل لله نداً في ربوبيته ، ومن أدعي شيئاً من ذلك لنفسه فقد طغي وتجاوز حده ونازع الله في ربوبيته وصار طاغوتاً في الربوبية .

لذلك لما قال فرعون : **(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)** (النازعات ٢٤) وقال : **(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)** (القصص٣٨) ، قال الله جل وعلا لموسي وهارون : **(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)** (طه ٤٣) ، أي أنه تجاوز حده كعبد مربوب لله جل وعلا وصار **طاغوت** كافر . وسيأتي معنا بإذن الله معني الطاغوت .

وكذلك أخوه في الكفر والطغيان المسمي " النمرود بن كنعان " والذي أدعي أنه يحي ويميت عندما حاج إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ربه ، قال تعالي : **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** (البقرة ٢٥٨) ، نعوذ بالله من الخذلان **!!**

- وكفار قريش الذين بعث فيهم النبي صلي الله عليه وسلم كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم ينفعهم بل قاتلهم النبي صلي الله عليه وسلم وأستحل دماءهم وأموالهم وشهد علي قتلاهم وموتاهم بالنار كما هو معلوم من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وذلك لأنهم مع إقرارهم بربوبية الله لم يوحدوا الله بأفعالهم بل صرفوا العبادات لله جل في علاه ولغيره من الأنداد والطواغيت .

قال تعالي : **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ)** (الزخرف٩)

وقال تعالي : **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)** (الزخرف ٨٧) .

وقال تعالي : **(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)** (يونس ٣١).

وقال تعالي : **(قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩))** (المؤمنون) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ويلكم قد قد) فيقولون إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت " رواه مسلم ، **وقد قد** : أي يكفي ولا تزيدوا .

▪ التشريع حق لله وحده : –

وأيضاً من الأفعال التى هي لله وحده أي لا يستحق أن يفعلها إلا هو جل جلاله " **التشريع** " لعباده ، أي أن من يشرع للخلق **الدين** الذي يسيرون عليه في جميع أمور حياتهم ويأخذون منه عقائدهم وعباداتهم وأحكامهم ومعاملاتهم هو الله جل وعلا وحده لا شريك له ..

قال تعالي : **(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)** (**الشوري ١٣**) .

فالدين – من معانيه – : " هو ما يسير عليه الناس في حياتهم من العقائد والعبادات والأحكام (كالحلال والحرام والعقوبات) والمعاملات والأخلاق " .

ولا يشترط في الدين أن يكون منزلاً من عند الله جل وعلا لكي يسمي " **دين** " ولا يشترط فيه أن يكون حقاً..

فكل منهج يسير عليه الناس في حياتهم وإن كان باطلاً من وضع البشر فهو " **دين** " ، والدليل قوله تعالى : **(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦))** (الكافرون) .

فسمي الله جل وعلا ما عليه كفار قريش من الضلالات والجهالات وتحليل الحرام وتحريم الحلال وعبادة الأوثان التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم – ولم تكن شرعاً منزلاً من عند الله – " **دين** " ، وأول من **شرع** لهم هذا **الدين** هو عمرو بن لحي الخزاعي وهو أول من أحل لهم بعض الحرام وحرم عليهم بعض الحلال و**شرع** لهم عبادة الأوثان ، فتركوا ملة إبراهيم التي كانوا يدينون بها وأتبعوا **تشريعه** .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب " متفق عليه ، و يجر قصبه : أي أمعاءه .

لذلك وقعوا في الكفر والشرك لما تركوا تشريع الله وأتبعوا تشريع طواغيت الجاهلية كعمرو بن لحي الخزاعي وغيره ، فبعث الله فيهم محمداً صلي الله عليه وسلم يدعوهم إلي إتباع تشريع الله وحده ونبذ ما سواه من شرائع الطواغيت .. لأن المستحق للتشريع للعباد هو الله وحده لأنه وحده الذي خلقهم ورزقهم فبالتالي هو وحده الذي يأمرهم وينهاهم ويحل لهم ويحرم عليهم .

قال تعالي : **(اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)** (**الأعراف ٣**) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : **(أي اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه (ولا تتبعوا من دونه أولياء) أي لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره)** . أنتهي كلامه رحمه الله .

وقال القرطبي في تفسيرها : **(أي اتبعوا ملة الإسلام والقرآن، وأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه. ودلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص)** . أنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الشوكاني في تفسيره "فتح القدير" : **(أي لا تتبعوا من دون كتاب الله أولياء تقلدونهم في دينكم كما كان يفعله أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحللونه لهم ويحرمونه عليهم)** . أنتهي كلامه رحمه الله .

قال تعالي : **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)** (آل عمران ٦٤) .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : (قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب) الخطاب في قول الحسن وابن زيد والسدي لأهل نجران ، وفي قول قتادة وابن جريج وغيرهما ليهود المدينة، خوطبوا بذلك لأنهم جعلوا أحبارهم في الطاعة لهم كالأرباب – إلي قوله – قوله تعالى: (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) أي لا نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما حلله الله تعالى ، وهو نظير قوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله ، وهذا يدل على بطلان القول بالاستحسان المجرد الذي لا يستند إلى دليل شرعي ؛ قال الكيا الطبري: مثل استحسانات أبي حنيفة في التقديرات التي قدرها دون مستندات بينة ، وفيه رد على الروافض الذين يقولون: يجب قبول قول الإمام دون إبانة مستند شرعي، وإنه يحل ما حرمه الله من غير أن يبين مستنداً من الشريعة.) إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الشوكاني في تفسيره " فتح القدير" : **(وفي قوله (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً) تبكيت لمن اعتقد ربوبية المسيح وعزير، وإشارة إلي أن هؤلاء من جنس البشر وبعض منهم ، وإزراء على من قلد الرجال في دين الله فحلل ما حللوه له ، وحرم ما حرموه عليه ، فإن من فعل ذلك فقد اتخذ من قلده رباً، ومنه (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله).)** إنتهي كلامه رحمه الله .

قال تعالى : **(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (الشورى ٢١) ..

فسمي الله كل من يشرع للناس " **ديناً** " لم يأذن به الله " **شريكاً** " ، والشريك هو الند والطاغوت المشارك لله فيما إختص به ، وذلك لأن من شرع للناس ديناً غير ما شرعه الله **يحل الحرام** أو **يحرم الحلال** أو **يصادم شرع الله** فقد طغي وتجاوز حده من عبد مربوب لله جل وعلا ونازع الله في ربوبيته ..

قال ابن كثير في تفسير آية الشوري هذه : **(أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل**

الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأقوال الفاسدة وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه في النار) لأنه أول من سيب السوائب، وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة وهو أول من فعل هذه الأشياء وهو الذي حمل قريشاً على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه) . إنتهي كلامه رحمه الله .

قال تعالي عن ملك مصر في زمن يوسف عليه الصلاة والسلام : **(كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)** (يوسف ٧٦) ..

قال ابن كثير في تفسير الآية : دين الملك أي (**حكم ملك مصر ، قاله الضحاك وغيره**) .

وقال القاسمي في تفسيره محاسن التأويل (٣٨٦/٤) : (**ويستدل به على جواز تسمية قوانين ملل الكفر ديناً**)

فالله جل وعلا سمي التشريع والحكم الذي وضعه ملك مصر من عند نفسه كعقوبة في حق السارق **ديناً** ..

إذن فكل منهج حياة أو نظام للحكم – غير حكم الله – وضعه البشر للحكم به بين الناس أو للرجوع إليه عند الخصومات أو ليسير عليه الناس في حياتهم فهو " **دين** " .

وذلك مثل شرائع البادية والقوانين الشركية الوضعية التي تحل الحرام وتحرم الحلال وتعطل الحدود الشرعية وتغيِّرها ، وأنظمة الحكم الطاغوتية الجاهلية كالعلمانية والديمقراطية والشيوعية والرأسمالية والقومية والإشتراكية والبعثية والوطنية ، وكذلك اليهودية والنصرانية والمجوسية والبوذية والهندوسية وغيرها من الأديان الباطلة .

فكل من رضي بأحد هذه الأديان أو إلتزم بها أو حكم بها أو تحاكم إليها أو أطاع تشريعاتها – كل ذلك عن علم بحالها واختيار منه – فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه وإن زعم أنه مؤمن وأبتغي **ديناً** غير دين الإسلام ، قال تعالي : **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** (آل عمران ٨٥).

قال الإمام ابن حزم في " الإحكام " (٢/ ١٤٤ – ١٤٥) (**وأما من ظن أن أحداً بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينسخ حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ويُحدث شريعة لم تكن في حياته عليه السلام، فقد كَفَر وأشرك وحَلَّ دمه وماله ولحق بعبدة الأوثان، لتكذيبه قول الله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا». وقال تعالى:«ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين». فمن ادعى أن شيئا مما كان في عصره عليه السلام على حكمٍ ما، ثم بُدّل بعد موته فقد ابتغى غير الإسلام ديناً، لأن تلك العباداتِ والأحكام والمحرمات والمباحات والواجبات التي كانت على عهده عليه السلام، هى الإسلام الذي رضيه الله تعالى لنا، وليس الإسلام شيئا غيرها. فمن ترك شيئا منها فقد ترك الإسلام، ومن أحدث شيئا غيرها فقد أحدث غير الإسلام** .) أنتهي كلامه رحمه الله .

وقال أيضاً في " الإحكام " (١/ ٧٣) (**فإن كان يعتقد أن لأحدٍ بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم أن يحرم شيئا كان حلالاً إلى حين موته عليه السلام، أو يحل شيئا كان حراماً إلى حين موته عليه السلام، أو يوجب حداً**

لم يكن واجباً إلى حين موته عليه السلام، أو يشرع شريعة لم تكن في حياته عليه السلام، فهو كافر مشرك حلال الدم والمال حكمه حكم المرتد ولا فرق) أنتهي كلامه رحمه الله .

وقال أيضاً في " الإحكام " (٣١/٦) **(وأيضاً فلا فرق بين جواز شرع شريعة من إيجاب أو تحريم أو إباحة بالرأي لم ينص تعالى عليه ولا رسوله عليه السلام، وبين إبطال شريعة شرعها الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالرأي، والمفرق بين هذين العملين متحكم بالباطل مفتر، وكلاهما كُفر لا خفاء به)** أنتهي كلامه رحمه الله .

وقال أيضاً في " الإحكام " (٦/ ١١٠): **(لأن إحداث الأحكام لايخلو من أحد أربعة أوجه : إما إسقاط فرض لازم، كإسقاط بعض الصلاة أو بعض الصيام أو بعض الزكاة أو بعض الحج أو بعض حد الزنا أو حد القذف، أو إسقاط جميع ذلك، وإما زيادة في شيء منها، أو إحداث فرض جديد، وإما إحلال محرم كتحليل لحم الخنزير والخمر والميتة، وإما تحريم محلل كتحريم لحم الكبش وما أشبه ذلك، وأي هذه الوجوه كان، فالقائل به كافر مشرك، لاحق باليهود والنصارى، والفرض على كل مسلم قتل من أجاز شيئا من هذا دون استتابة ولا قبول توبة إن تاب، واستصفاء ماله لبيت مال المسلمين، لأنه مبدل لدينه، وقد قال عليه السلام (من بدل دينه فاقتلوه) ومن الله تعالى نعوذ من غضبة لباطل أدت إلى مثل هذه المهالك .)** أنتهي كلامه رحمه الله .

فالذي يُشرِّع **الدين** للخلق هو الله وحده لا شريك له ، ولا يجوز إلتزام أي دين أوشريعة غير دين الإسلام الذي شرعه الله لعباده .

قال تعالي : **(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)**(الجاثية١٨)

(٢) توحيد الألوهية :-

والألوهية أي : العبودية ، أله الشئ : إذا عبده ، ومنها الإله وهو المألوه أي المعبود .

وتوحيد الألوهية هو توحيدنا لله بأفعالنا التعبدية ، أي بأن نصرف جميع العبادات لله جل وعلا وحده ولا نصرفها لغيره ولا نجعل معه شريك ولا نداً في ذلك .

فنجد إن كفار قريش كانوا يصرفون العبادات لله سبحانه وتعالى ولغيره وجعلوا مع الله أنداداً وشركاء مع إقرارهم التام بتوحيد الربوبية وفعلهم هذا كان له سببين كما بين الله تعالى ذلك : -

- **السبب الأول** : يقولون إن هذه الأنداد والشركاء يشفعون لهم عند الله والدليل قوله تعالى : **(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)** (يونس ١٨) ، فجعلوا هؤلاء الأنداد واسطة بينهم وبين الله وبذلك صرفوا لهم العبادة .
- **السبب الثاني** : يقولون إن هؤلاء الأنداد يتقربون بعبادتهم إلى الله تعالى والدليل قوله تعالى : **(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار)** (الزمر ٣) .

- فهذا القسم من التوحيد هو الذي وقع من كفار قريش الشرك فيه لذلك قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد إن لم يسلموا وكابروا وعاندوا ، فَهُم قد فهموا المراد من كلمة " **لا إله إلا الله** " وأن المراد منها ليس إعتقاد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يملك ولا يحي ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله (توحيد الربوبية) فإنهم مُقرون بذلك كله .. إنما المراد منها ألَّا يصرفوا شيئاً من العبادات لغير الله جل وعلا وأن يكفروا بجميع ما يعبدونه من الأنداد والطواغيت (توحيد الألوهية) ، لذلك قالوا : **(أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧))** (ص) .

فمن صرف شيئاً من العبادات – الثابتة بالقرآن أو السنة أنها عبادة يُتقرب بها إلي الله – لغير الله جل وعلا فقد أشرك مع الله غيره في **ألوهيته وعبوديته** . وسيأتي الحديث عن العبادة وبعض أنواعها بإذن الله .

▪ معنى " لا اله إلا الله " : -

كلمة التوحيد " **لا إله إلا اله** " تتكون من شقين : –

شق النفي : لا إله ، وهنا خبر محذوف تقديره (حق) أو (بحق) ، أي لا إله حق ..

شق الإثبات : إلا الله

فمعناها (لا معبود حق إلا الله) أو (لا معبود بحق إلا الله) .

- ونجد إن " **لا اله إلا الله** " قد أتت في القران والسنة بألفاظ أخرى تبين معناها والمراد منها مثلاً : –

- في القرآن (الكفر بالطاغوت والإيمان بالله) ، قال تعالى : (**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (البقرة :٢٥٦) ، والعروة الوثقي – من معانيها – هي **لا إله إلا الله** ، فمن لم يحقق هذين الركنين فهو لم يستمسك بكلمة التوحيد .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (**أي من خلع الأنداد والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووحد الله فعبده وحده، وشهد أنه لا إله إلا هو ، فقد ثبت في أمره، واستقام على الطريق المثلى، والصراط المستقيم**) أنتهي كلامه رحمه الله .

- ومثل ذلك في السُنة قوله عليه الصلاة والسلام (**من وحد الله تعالي وكفر بما يعبد من دونه**) و(**أن يُعبد الله ويكفر بما دونه**) كما تقدم .

فركن النفي : (لا اله حق ..) يقابله (الكفر بالطاغوت) ، وهو يتضمن نفي إستحقاق الألوهية (العبودية) عن كل ما يعبد من دون الله ، وهو " **الطاغوت** " إذا دعا إلي عبادة نفسه أو عبده الناس وكان راضياً بذلك .

وركن الإثبات : (إلا الله) يقابله (الإيمان بالله) ، وهو يثبت العبادة لله جل وعلا وحده لا شريك له .

- **معنى الطاغوت :–**

لغةً : الطاغوت صيغة فعلوت من الطغيان ، والطغيان هو مجاوزة الحد ، فكل شئ له حد معين إذا تجاوزه يقال بأنه **طغى** . والدليل قوله تعالى عن طوفان قوم نوح : **(إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)** (الحاقة ١١) .
طغى : أي تجاوز حده ، فحد الماء المعروف أن ينبسط على سطح الأرض ولكنه في الطوفان تجاوز حده إلى أعالي الجبال ، قال تعالي عن سفينة نوح : **(وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ)** (هود ٤٢) .

شرعاً : قال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم : **(الطاغوت هو الشيطان)**
قال ابن كثير معلقاً على هذا القول : **(وهذا قول قوي فهو يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والإستنصار بها)** .
قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : **(الطواغيت هم كهان تنزل عليهم الشياطين)** .
قال مجاهد : **(الطاغوت الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه، وهو صاحب أمرهم)**
قال الإمام مالك : **(الطاغوت كل ما عبد من دون الله)** . وكل هذا من تفسير ابن كثير .
قال النووي في شرح صحيح الإمام مسلم (١٨/٣) : **(قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى)** .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي (٢٠١/٢٨) : **(فالمعبود من دون الله اذا لم يكن كارهاً لذلك طاغوت)** .
قال ابن القيم في إعلام الموقعين (٥٠/١) : **(والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم هو من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو من يعبدونه من دون الله أو يتبعونه علي غير بصيرة من الله أو يطيعونه في ما لا يعلمون أنه طاعة لله)** .
قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته " الأصول الثلاثة " : **(الطواغيت كثر ورؤوسهم خمسة : أبليس ومن دعا إلي عبادة نفسه ومن عبد وهو راض ومدعي بعض علم الغيب والحاكم بغير ما أنزل الله)** .

وخلاصة القول – عندي – في **الطاغوت** أنه : **(هو شيطان الإنس أو الجن الذي تجاوز حده فجعل لنفسه بعض خصائص الربوبية أو الألوهية أو جُعلت له بعض خصائص الربوبية أو الألوهية ولم يكن كارهاً لذلك ، وكل ما تجاوز به الناس حده مما لا روح فيه طاغوت)** .

- **فإبليس** عليه لعنة الله **رأس الطواغيت** وهو أصل كل شر ورأس كل ضلالة .

- ومدعي بعض علم الغيب والذي يقول أنا أحي وأميت والذي يقول أنا ربكم الأعلي والذي يدعي التصرف في بعض أمر الكون كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وإنزال الغيث ودفع البلاء أو رفعه ، كل هؤلاء **طواغيت** نازعوا الله جل وعلا في **ربوبيته** وما أختص به من أفعال ، فمن صدقهم في ما زعموا فقد أشرك مع الله جل وعلا في **الربوبية** ، وكفره أغلظ من كفر كفار قريش الذين أقروا بتوحيد الربوبية .

وكذلك الذي يُشرِّع ويسِنْ للناس الشرائع والقوانين التي تُحل الحرام أو تُحرم الحلال أو تصادم الشريعة وتعطل حدودها الشرعية وتغيرها ، فهو **طاغوت** نازع الله جل وعلا حق **التشريع** لعباده ، فمن قال أن هذا – **الطاغوت** – له الحق في أن يُشرِّع للناس هكذا تشريع ولو شرعاً واحداً – **وإن لم يطعه ويتابعه في تشريعه هذا !!** – فهو مشرك كافر أشرك مع الله في **ربوبيته** ، وإن أطاعه في ذلك التشريع فقد أشرك مع الله في **ربوبيته** و**ألوهيته** وصار ذلك المُشرِّع **طاغوتاً** في الربوبية والألوهية ، لأن **الطاعة في التشريع** عبادة لا تصرف إلا لله وحده – كما سيأتي بيانه لاحقاً بإذن الله – .

- والذي دعا إلي عبادة نفسه أو عُبد وهو راضٍ بأي نوع من أنواع العبادة كالطاعة المطلقة أو الإتباع المطلق أو الإستغاثة أو النذر أو الطواف أو الذبح – ولم يكن كارهاً لذلك – فهو **طاغوت** نازع الله جل وعلا في ألوهيته واستحقاقه للعبادة .

وكذلك **الحاكم** الذي يحكم بين الناس وفيهم بالتشريعات والقوانين التي وضعها **الطواغيت** المُشرِّعين غير ما شرعه الله فهو – مع كونه مشركاً **بطاعته ومتابعته** لتشريع الطواغيت – **طاغوت** عُبد من دون الله بعبادة **التحاكم ورد التنازع إليه** ، لأن التحاكم ورد التنازع عبادة لا تصرف إلا لله جل وعلا وحده لا شريك له ، فالتحاكم ورد التنازع لا يكون إلا لشرع الله .

قال تعالي : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**)

(**النساء ٥٩**) .

فدلت هذه الآية علي أن من رد نزاعاً إلي **شرع غير شرع الله** فهو مشرك كافر لأن الله لم يُثبت له **الإيمان بالله واليوم الآخر** وهي من أركان الإيمان الستة الداخلة في أصل الإيمان والتي إذا زال أحدها زال أصل الإيمان وصار الإنسان مشركاً كافراً .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (**أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ومن لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر**) أنتهي كلامه رحمه الله .

وقال تعالي :(**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**) (النساء٦٠)

فسمي الله جل في علاه الحاكم الذي **يتحاكم** إليه الناس عند **التخاصم والتنازع** – وهو هنا كعب بن الأشرف اليهودي وفي رواية هو كاهن في جهينة – فيحكم بينهم بشرع غير شرع الله . . **طاغوت** .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي (٢٠١/٢٨) : (**ولهذا سُمى من تُحُوكِم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت**) .

- وكذلك يدخل في مسمي **الطاغوت** ما لا روح فيه كالأحجار والأشجار والأصنام والتماثيل والصليب والتصاوير وغيرها من الجمادات مما جعل له الناس بعض خصائص الربوبية أو الألوهية ، ففي الحديث الطويل عن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام : **(يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها)** متفق عليه من حديث أبي هريرة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي (٢٠١/٢٨) **(ولهذا سمى النبى الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت)** .

ويدخل في ذلك أيضاً القبور والمشاهد والقباب والأضرحة التي يُفعل عندها الشرك بالله من دعاء الأموات والذبح لهم والنذر لهم والطواف بقبورهم ، **فعن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)** كما في الموطأ برواية يحي الليثي .

- ويدخل في ذلك الأنظمة والتشريعات والقوانين والدساتير واللوائح والمواثيق التي تصادم شرع الله جل وعلا كالقوانين الوضعية التي تحل الحرام وتحرم الحلال وتغير الحدود الشرعية والتي يحكم بها طواغيت الحكم الجاثمين علي صدر الأمة الإسلامية ، وكمواثيق الأمم المتحدة (المُلحدة) وجامعة الدول العربية وقوانين الغُرف التجارية التي تفصل في المنازعات التجارية وغيرها .

قال الشيخ محمد حامد الفقى – رئيس جماعة أنصار السنة المُحمدية **!!!** بمصر سابقاً – مُعلقاً علي معني الطاغوت في هامش كتاب " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد " (ص ٢٨٧) **(الذي يستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم: أن الطاغوت كل ما صُرِفَ العبد وصَدّه عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله . سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس ، والأشجار والأحجار وغيرها . ويدخل في ذلك بلاشك : الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله، من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها. والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت. وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إما قصداً أو عن غير قصد من واضعه. فهو طاغوت)** أنتهي كلامه رحمه الله .

- ويدخل في مسمي **الطاغوت** أيضاً كل من عُقد عليه الولاء والبراء – غير الله ورسوله وشريعته – فيوالي فيه ويعادي فيه كرؤوس الطوائف الجاهلية والقبليَّة والأحزاب الكفرية وكالحدود الجغرافية الوهمية التي وضعها الكفار (سايكس وبيكو) لتمزيق الأمة الإسلامية فعُقد عليها الولاء والبراء وأصبحت الأمة الإسلامية عبارة عن دويلات متناحرة ترفرف في سمائها رايات وخِرق طاغوتية .

- ويدخل في ذلك الهوي إذا دعا إلي الكفر والشرك وتحليل الحرام أو تحريم الحلال ، قال تعالي : (**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا**) (**الفرقان ٤٣**) .

فلكل هذه **الطواغيت** ولكل من عبدها من دون الله ونصرها ودار في فلكها وسبح بحمدها نقول : (**إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**) (الممتحنة ٤) .

- **لماذا يشترط في المعبود من دون الله أن (لا يكون كارهاً لذلك) حتي يسمي طاغوت ؟**

لان هنالك من الأنبياء والصالحين من قد عبدوا من دون الله ولكنهم غير راضين بذلك فلا نسميهم طواغيت ، فالطاغوت هنا هو **الشيطان** الذي زين للناس عبادتهم من دون الله ، فالمشركون الذين عبدوا غير الله في حقيقة أمرهم هم عبدوا الشيطان من حيث يعلمون أو من حيث لا يعلمون ، قال تعالي : **(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١))** يس .

فكل من عَبد شيئاً غير الله فقد عبد الشيطان ، فإذا كان المعبود **راضياً** بتلك العبادة صار **طاغوتاً** مع الشيطان الذي زين للناس عبادته من دون الله ، وإن لم يكن راضياً بتلك العبادة صار الطاغوت هو الشيطان .

قال تعالي عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**) (**الأنعام ٧٤**) ، وقال تعالي علي لسان إبراهيم أيضاً مخاطباً أباه : (**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**) (**مريم ٤٤**) .

فسمي الله جل وعلا علي لسان إبراهيم عبادة الأصنام عبادة للشيطان ، وهي العبادة التي سيتبرأ منها الشيطان يوم القيامة علي رؤوس الأشهاد وهو في النار ، قال تعالي :**(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (**إبراهيم ٢٢**) .

- ومن أمثلة الذين عبدوا من دون الله ولم يرضوا بذلك : –
- عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام عبد من دون الله وهو ليس بطاغوت – وحاشاه – لأنه لم يرض بذلك والدليل قوله تعالى : **(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)** (**المائدة ١١٦**) .

فهو عُبد من دون الله ولكنه تبرأ من ذلك ، فالطاغوت هنا هو **الشيطان** الذي زين للناس عبادة عيسي بن مريم ، فالمشركون الذين عبدوا عيسي بن مريم وألهوه من دون الله في حقيقة أمرهم هم عبدوا الشيطان .

▪ والملائكة أيضاً عبدت من دون الله لكنها تبرأت من تلك العبادة ، قال تعالي : (**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ**) (سبأ ٤١) ، فالطاغوت هنا هو الشيطان الذي زين للمشركين عبادة الملائكة من دون الله .

ومن هنا يظهر لك قوة تعريف عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما للطاغوت حين قالوا : (**الطاغوت هو الشيطان**) ، ولذلك علق ابن كثير في التفسير علي هذا التعريف بقوله : (**وهذا قولٌ قوي**) ..
يصدِّق ذلك قوله تعالي : (**الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**) (النساء ٧٦) .

▪ كيف نكفر بالطاغوت ؟

بيَّن لنا الله جل وعلا في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام كيف **نكفر بالطاغوت** وبالمشركين الذين عبدوه من دون الله وكيف نعاملهم ، وجعل " **الكفر بالطاغوت** " ركن التوحيد الأول ، فمن لم يحققه لم يكن مسلماً – وإن حقق الركن الثاني من التوحيد " **الإيمان الله** " وصرف العبادات جميعها لله جل وعلا وزعم أنه مسلم – وإن قصر فيه من غير عذر شرعي كان آثماً مستحقاً للعقوبة ، لأنه ركن التوحيد الذي هو أصل الأصول وأوجب الواجبات والحق الذي قامت عليه السماوات والأرض وخُلق من أجله الخلق والعروة والوثقي التي ضمن الله ألَّا تنفصم أبداً ، قال تعالي : (**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (البقرة :٢٥٦) .
وأمرنا الله تعالي لتحقيق الكفر بالطاغوت بالإقتداء بالخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأتباع ملته والتي هي في حقيقتها تطبيق عملي للكفر بالطواغيت في أبهي صورهِ وتجريد التوحيد لله وحده لا شريك له ، قال تعالي: (**قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) (آل عمران ٩٥) . وحنيفاً : أي مستقيماً علي التوحيد مائلاً عن الشرك .
وقال تعالي: (**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**) (النساء ١٢٥) .
وقال تعالي: (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ**) (الممتحنة ٤) .
وأمر الله جل وعلا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام – أيضاً – بإتباع هذه الملة الغراء ، قال تعالي: (**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) (النحل ١٢٣) .
وبين جل في علاه أن من يعرض عن ملة إبراهيم ويرغب عنها أنه **سفيه** قد سفه نفسه ، قال تعالي: (**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**) (البقرة ١٣٠) .

لذلك فإن أغلب صفات الكفر بالطاغوت في القرآن أتت علي لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

■ صفات الكفر بالطاغوت : –

وبالإستقراء في الأدلة الشرعية نجد أن الكفر بالطاغوت يتضمن : –

- الكفر بالطاغوت نفسه .
- والكفر بالمشركين الذين طغوا بالطاغوت وتجاوزوا به حده وجعلوا له بعض خصائص الربوبية أو الألوهية .

وصفات الكفر بالطاغوت هي : –

١ – اجتناب عبادته واعتقاد بطلانها : –

والدليل قوله تعالى : **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت)** (النحل ٣)

وقوله تعالى : **(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ)** (الزمر ١٧) .

٢ – إعتزالهم ومفارقتهم : –

والدليل قوله تعالي عن أصحاب الكهف – الذين فارقوا قومهم المشركين بالله – : **(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا)** (الكهف ١٦) .

وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام : **(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)** (مريم ٤٨) .

أعتزلكم : أي أنتم أيها المشركون الذين عبدتم غير الله تعالى .

ما تدعون من دون الله : هم الطواغيت والأنداد والشركاء .

فالله جل وعلا قدم إعتزال المشركين علي إعتزال الطواغيت لأهميته .. إذ قد يعتزل الإنسان الشرك والطواغيت ولكن لا يعتزل من عبدوهم ونصروهم وداروا في فلكهم وسبحوا بحمدهم فلا يكون آتياً بالواجب عليه حتي يعتزل المشركين عبيد الطاغوت ، وأعظم صور الإعتزال والمفارقة تكون **بالهجرة في سبيل الله** .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في رده علي من سأل عن مخالطة المشركين وأهل البدع في " الدرر السنية " : **(وأما ما ذكرت من الأسئلة في مخالطة المشركين وأهل البدع ، فإن كان لك قدرة على الهجرة عنهم وجبت عليك ، لما فيها من حفظ الدين ، ومفارقة المشركين ، والبعد عنهم ، وأما من كان من المستضعفين الذين لا قدرة لهم على الهجرة، فعليه أن يعتزلهم ما استطاع ، ويظهر دينه ويصبر على أذاهم)**

أنتهي كلامه رحمه الله .

وقال أيضاً في " الدرر السنية " : **(وأما إذا كان الموحد بين ظهراني أناس من المبتدعة والمشركين، ويعجز عن الهجرة ، فعليه بتقوى الله ، ويعتزلهم ما استطاع ، ويعمل بما وجب عليه في نفسه ، ومع من يوافقه على دينه ،**

وعليهم أن يصبروا على أذى من يؤذيهم في الدين ؛ ومن قدر على الهجرة وجبت عليه ، وبالله التوفيق .) أنتهي كلامه رحمه الله .

٣- البراءة منهم باللسان : -

والدليل قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام : **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨))** (الزخرف) ، والكلمة التى جعلها باقية في عقبه هي " **لا إله إلا الله** " كما ذكر المفسرون .

٤- معاداتهم : -

و**المعاداة** تكون بالظاهر - أي باللسان والجوارح - وهي إظهار العداوة والبُغض وضدها **الموالاة** وهي إظهار النُصرة والمودة ، والدليل قوله تعالى علي لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام : **(قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧))** (الشعراء) .

- وأعظم صور المعاداة للطواغيت والمشركين تكون **باليد** وهي قتالهم وجهادهم بالنفس والمال والسِنان حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وحتي يُعبد الله وحده ولا يُعبد سواه .

قال تعالي حاكياً عن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام : **(وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦))** (الصافات) .

فإبراهيم الخليل - الذي أمرنا الله بإتباع ملته - رغم أنه كان لوحده! أو بعبارة أخري رغم أنه كان في حالة **إستضعاف** فقد حطم أصنام قومه **(الطواغيت)** بيده ولم ينكر الله جل وعلا عليه ذلك بحجة **الإستضعاف** أو **ضغط الواقع** أو **أن في عمله هذا تشويه لصورة الإسلام والمسلمين وبالتالي سينفر الناس من الدعوة** أو **عدم مراعته للمصالح والمفاسد إذ أن المشركين سيقتلونه رمياً في النار بسبب فعله هذا وبالتالي سيُقضي علي الدعوة من أساسها لأنه الوحيد المسلم في قومه وهذه مفسدة عظيمة ومُخاطرة بمصلحة الدعوة !! ..**

بل مدحه بأعظم المدح **(إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)** .

وفي هذا ردٌ قاطعٌ علي كل من أنكر علي إخواننا المُجاهدين في سبيل الله - نصرهم الله أينما وجدوا وحيثما حلوا - قتالهم للطواغيت العالميين من اليهود والصليبيين المعتدين وأعوانهم وأنصارهم المرتدين وطواغيت الحُكم الجاثمين علي صدر أمتنا الإسلامية الغالية محتجاً بأمثال هذه الشبه الواهية ، فوالله لا ينكر علي إخواننا المُجاهدين جهادهم هذا إلا **جاهل** أو **سفيه** رغب عن ملة إبراهيم وأعرض عنها **(وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ)** ، فهذا شرع الله وإن رغمت أنوف !

▪ فإن لم يستطع المسلم إظهار العداوة للطواغيت وعبيدهم باليد – لعذر شرعي – إنتقل لمرتبة المعاداة باللسان وذلك بالتحذير منهم ومن كفرهم وشركهم ودعوة الناس إلي إجتنابهم وفضحهم للناس وتعريتهم وكشف باطلهم وشبههم وشبه من يجادلون عنهم وسب طواغيتهم وشتم أندادهم وشركائهم – من غير فحش ولا تفحش– .

فعن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : " قلت له ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ؟ " ، قال : " حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا . . . " رواه أحمد وابن حبان .

وهذا السب والشتم والتسفيه لا يتعارض مع قوله تعالي :**(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)** (**الأنعام ١٠٨**) – أي: لا تسبوا الطواغيت المعبودين من دون الله – فالتوفيق بين الآية والحديث أن المنهي عنه في الآية هو السب المجرد الذي يُفهم منه مجرد الإستفزاز وليس المراد منه تحصيل مصلحة شرعية ، أما السب والشتم والتسفيه الذي يكون في معرض بيان التوحيد والصدع به والتحذير من الشرك والتنديد فهو محمود .. بل واجب لأنه من ملة إبراهيم ، قال تعالي عن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام : **(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧))** (الأنبياء) ، والله أعلم .

▪ فإن لم يستطع المسلم إظهار العداوة لهم باللسان – لعذر شرعي – إنتقل لمرتبة المعاداة بالقلب وهو البغض – كما سيأتي – فإذا زال بغضهم من القلب زال أصل الإيمان والدليل قوله تعالي : **(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** (**المجادلة ٢٢**) ، فإذا زال البغض من قلب العبد للطواغيت والمشركين بالكلية ، حل محله – ولابد – نقيضه وهي المودة ، وإذا حلت المودة بالقلب إنتفي الإيمان بالله واليوم الآخر الذي هو من أصل الإيمان وصار هذا العبد مرتداً كافراً .

قال الشيخ سليمان بن سحمان في معرض كلامه عن الطاغوت " الدرر السنية " (٥٠٣/١٠) :
(والمراد من إجتنابه – أي الطاغوت – هو بغضه وعداوته بالقلب ، وسبه وتقبيحه باللسان ، وإزالته باليد عند القدرة ، ومفارقته ، فمن أدعي إجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق) أنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته " معني الطاغوت " : **(فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم)** أنتهي كلامه رحمه الله .

ولا يجوز للمسلم أن ينتقل من أي مرتبة من مراتب معاداة الطاغوت (اليد – اللسان – القلب) إلي المرتبة التي تليها إلا عند عدم الإستطاعة ، **فعن أبي سعيد الخدري قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** " رواه مسلم .

وأعظم منكر علي الإطلاق هو الشرك والكفر والطغيان علي ما إختص به الرحمن .

٥- بغضهم : -

البغض يكون بالقلب – كما تقدم – وقد يظهر علي اللسان ، قال تعالي : **(قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)** (آل عمران ١١٨) ، وفي هذه الحالة يكون من المعاداة باللسان .

قال تعالى : **(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)** (الممتحنة ٤) ، **والذين معه** : قيل هم الرسل الذين بعثوا بالتوحيد .

وفيها أيضاً دليل علي البراءة من الطواغيت والمشركين وإظهار العداوة لهم أبداً حتي يؤمنوا بالله وحده .

قال الشيخ حمد بن عتيق معلقاً علي هذه الآية في كتابه " سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك " : **(وهاهنا نكتة بديعة في قوله: (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله): وهي أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله، على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله، لأن الأول أهم من الثاني، فإنه قد يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها، فلا يكون آتياً بالواجب عليه، وأما إذا تبرأ من المشركين، فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم.**

وهذا كقوله تعالى: (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم، وكذا قوله: (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله)، وقوله: (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) فعليك بهذه النكتة، فإنها تفتح لك بابا إلى عداوة أعداء الله، فكم من إنسان لا يقع منه الشرك، ولكنه لا يعادي أهله!! فلا يكون مسلماً بذلك، إذا ترك دين جميع المرسلين.

ثم قال: (كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) فقوله: (وبدا) أي: ظهر وبان. وتأمل تقديم العداوة على البغضاء، لأن الأولى أهم من الثانية، فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فلا يكون آتياً بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء، ولابد أيضاً من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين، أي: ظاهرتين بينتين.

واعلم انه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب، فإنها لا تنفع حتى تظهر آثارها وتبين علاماتها، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين، وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة، فإن ذلك يدل على عدم البغضاء، فعليك بتأمل هذا الموضع فإنه يجلو عنك شبهات كثيرة) . أنتهي كلامه رحمه الله .

- فإذا لم يستطع العبد أن يظهر العداوة للطواغيت والمشركين – باليد أو اللسان – لتسلطهم عليه ولخوفه من بطشهم وشرهم فيمكنه إظهار بعض **اللِّين في القول** معهم والتبسم في وجوههم مع **إضمار البغض والعداوة في**

القلب وإظهارها في الظاهر متي زال المانع من إظهارها ، وهو ما سماه الله جل وعلا **التقية** ، وتكون بالقول والسَّمت الظاهر فقط وليس بالفعل ..

قال تعالي : **(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)** (آل عمران ٢٨) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : **(وقوله تعالى : (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال البخاري عن أبي الدرداء: أنه قال: (إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم). وقال الثوري: قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس: إنما التقية باللسان)** إنتهي كلامه رحمه الله . ونكشر : أي نبتسم .

- والتقية لا يجوز فيها **قول الكفر** مالم تصل حد الإكراه ، لأن الله لم يعذر مرتكب الكفر متعمداً إلا أن يكون مكرهاً إكراهاً مُعتبراً ، قال تعالي : **(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧))** (النحل) .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في رسالته " الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك " : **(إعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم، خوفاً منهم، ومداراة لهم، ومداهنة لدفع شرهم، فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحب الإسلام والمسلمين – إلي قوله – ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له: أكفر ، أو إفعل كذا ، وإلا فعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان ، وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً، أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا ؟!)** إنتهي كلامه رحمه الله .

- وكذلك يمكن أن يظهر لهم اللين في القول والتبسم **أثناء** دعوتهم للتوحيد بنية تأليف قلوبهم للدخول في الإسلام مع إضمار البغضاء والعداوة في القلب ، فإذا أظهروا النفور وعدم القبول أظهر لهم العبد العداوة والبغضاء والبراءة منهم – ولابد – ما أستطاع إلي ذلك سبيلا ، قال تعالي عن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام : **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧))** (مريم) .

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام خاطب أباه الكافر في أول الأمر بخطاب فيه اللِّين وهو قوله **(يا أبت)** ولكن لما أظهر أبوه النفور والإعراض والتمسك بكفره وشركه ومعاداته لهذا الدين ، أظهر له إبراهيم البراءة منه ، قال تعالي : **(وَمَا**

كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (**التوبة ١١٤**) .

وقال جل في علاه مخاطباً موسي وهارون عليهما الصلاة والسلام : **(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤))** (طه) . ولكن لما عاند فرعون وأستكبر وعادي هذا الدين أظهر له موسي **القول الغليظ** ، قال تعالي عن موسي : **(قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا)** (**الإسراء ١٠٢**) . **مَثْبُورًا** : أي هالكاً .

٥- تكفيرهم :-

والدليل قوله تعالي عن المشركين عابدي الطواغيت : **(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦))** (الكافرون) .

وقوله تعالي عن الطاغوت النمرود بن كنعان : **(فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)** (البقرة ٢٥٨) .

فالتكفير حكم شرعي مرده إلي كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، فلا نُكفر إلا من كفره الله أو رسوله أو أجمعت الأمة علي كفره ، والإنسان قد يقع منه الكفر **بالقول** أو **بالفعل** أو **بالإعتقاد** أو **بالشك** ونحن نحكم بكفره بما يظهر لنا من القول أو الفعل المُكفر أما **الإعتقاد** و**الشك** فهما في القلب وليس لنا سبيل إلي الحكم بما في القلوب – لأننا لم نؤمر أن نشق عن قلوب الناس ولا عن بطونهم لنعرف ما فيها – إلا أن يظهر هذا **الإعتقاد** أو **الشك** في الظاهر بقول أو فعل مكفر .

ولا نكفر بالذنوب والمعاصي والكبائر التي لا تصل إلي حد الكفر والشرك بالله والطغيان علي ما اختص به جل جلاله كما تفعل الخوارج ، بل نقول أن فاعل مثل هذه الذنوب مسلم فاسق مُستحق للعقوبة إذا لم يتب منها ، ولا يكفر بمجرد فعلها إلا أن يستحلها ..

ولا نشترط للتكفير بنواقض الإسلام الجحود القلبي أو الإستحلال القلبي كما تفعل غلاة المرجئة والجهمية ، فإذا أرتكب المعين ناقض من نواقض الإسلام الظاهرة علي الجوارح فهو كافر بنفس الناقض ، بغض النظر عما في قلبه من الجحود أو الإستحلال أو التكذيب أو النفاق أو الشك في الدين أو الإستكبار أو البغض للدين أو الإعراض أو غير ذلك..

والأصل أن المُعيَّن من المسلمين إذا إرتكب ما هو من الكفر والشرك أنه لا يكفر إلا بعد توفر شروط التكفير في حقه وإنتفاء موانعه عنه ، فإذا ثبت في حق المعين بعض موانع التكفير الشرعية **كالجهل المعتبر** أو **الإكراه المعتبر** أو **التأول المستساغ** أو **الخطأ** – وهو عدم قصد الفعل أو القول المُكفر – سعينا في إزالة هذا المانع عنه ، فإذا أصر بعد زوال المانع علي القول أو الفعل المُكفر كفرناه علي التعيين .

وإزالة مانعي **الجهل المعتبر** و**التأول المستساغ** هو ما يُعرف **بإقامة الحجة** ، لأن حجة الله الشرعية علي هذه الأمة هي ما جاء به النبي صلي الله عليه وسلم من القرآن والسنة علي فهم الصحابة الكرام ، قال تعالي : **(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)** (النساء ١٦٥) .

- وكل **طاغوت** فهو مشرك كافر – عيناً – لا يشترط **إقامة الحجة** عليه للحكم عليه بالكفر ، إذ القول بان **الطاغوت** يكون مؤمناً حتي تقام عليه الحجة يستلزم – ولابد – إظهار بعض المودة له وعدم بغضه بالقلب البغض المطلق وعدم التبرؤ منه وعدم معاداته وعدم إعتزاله وهذا قول شديد الفساد ومعلوم فساده بالضرورة من دين الله جل وعلا لمناقضته للكفر بالطاغوت الذي هو ركن التوحيد .

أما **عابدي الطاغوت** إن كانوا من المقدور عليهم وليسوا من أصحاب الشوكة والمِنعة فلابد من تبين توفر شروط التكفير وإنتفاء موانعه في حقهم حتي يُحكم علي أعيانهم بالكفر .

أما إن كانوا طائفة أصحاب مِنعة وشوكة وقوة ولا يُقدر عليهم إلا بقتال فهم كفار علي التعيين ، وهؤلاء مثل أتباع الطاغوت مسيلمة الكذاب الذين عبدوه من دون الله و**أطاعوه في تشريعه** ورفعوه إلي مرتبه النبوة وكانوا طائفة ذات شوكة ومِنعة فحكم عليهم الصحابة بالردة والكفر وقاتلوهم قتال المرتدين وسبوا نساءهم وذراريهم وغنموا أموالهم وشهدوا علي قتلاهم بالنار بدون تبين لتوفر الشروط وانتفاء الموانع في أعيانهم وهذا **إجماع** منهم ، وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في رسائل أخري بإذن الله .

- ومع هذا تجد من طمس الله بصره وبصيرته وأعماه عن نور الوحي – مثل من يجادل عنهم من الطواغيت والمشركين – من يزم **التكفير** مطلقاً وأن المسلم مهما فعل من الشرك والكفر والطغيان لا ينبغي تكفيره مادام أنه يقول لا إله إلا الله ويصلي ويصوم ، ولهم مقولة بدعية توارثوها عن أسلافهم الجهمية وهي أن **(هذا الفعل كفر! .. أما فُلان الذي فعل هذا الفعل فلا يكفر إلا أن يعتقده بقلبه أو يجحد بقلبه أو يستحل بقلبه !!)** ومع هذا يزعمون السلفيَّة ويدَّعون الإنتساب إلي السلف الصالح وأن أقوالهم – أمثال المقولة أعلاه – هي الحق وهي أقوال السلف الصالح ومن خالفهم في ذلك فهو من **الخوارج** و**التكفيريين** و**السرورية** و**الفئة الضالة** و **دعاة الفتنة والضلال** و**الفساد** و... و... و...

فوالله إن سلفنا الصالح بريؤون من بِدعهم هذه وليس لهم سلف في أمثال هذا إلا جهم بن صفوان ومن دار في فلكه .

- فالسلف الصالح أهل السنة والجماعة يزمُّون **الغلو في التكفير** كما تفعل الخوارج من تكفير المسلمين بمجرد الذنوب والمعاصي التي لا تصل إلي حد الكفر والشرك والطغيان علي ما أختص به الرحمن .

ويزمُّون – أيضاً – **التفريط في التكفير** كما يفعل المرجئة الجهمية وأذنابهم المُعاصرين – أدعياء السَّلفية المزعومة !! – من عدم تكفير الطواغيت وعبيدهم وأنصارهم بل والجدال عنهم وذم وتفسيق وتبديع من كفرهم وتبرأ منهم وسعي في جهادهم وقتالهم .

والله المستعان وإليه المُشتكي !! .

▪ العبادة وبعض أنواعها : –

العبادة لغةً : من التعبد أي التذلل ، وسمى العبد عبداً لأنه يكون ذليلاً مُنقاداً لسيده ، ونقول طريق مُعبد أي مذلل للسير عليه .

و**شرعاً** : قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي (١٤٩/١٠) (**العبادة هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة**) .

وعرفها بعض العلماء بقولهم : (**العبادة هي إمتثال الأمر والنهي على وجه الذل والمحبة والخوف والرجاء**) .

▪ والعبادة توقيفية أي لا تثبت إلا بدليل من الكتاب أو السنة ، فالعبادة لا يثبت أصلها ولا كيفية صرفها لله جل وعلا إلا بدليل من الكتاب أو السنة ، **فعن أبي هريرة قال** : " **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** (**إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ...**) " رواه البخاري .

ونحن لا نعلم ما يحبه الله من الفرائض ولا النوافل إلا عن طريق الوحيين الكتاب أو السنة ، فأي قول أو عمل ثبت بالدليل أن الله يحبه ويرضاه أو يحب فاعليه أو أن الله أمر به وحث عليه أو أثني علي فاعليه فهو عبادة يتقرب بها إلي الله جل وعلا وحده لا شريك له .

فأي عبادة يُتَعبد بها الله جل وعلا لم تثبت بدليل من الكتاب أو السنة فهي **بدعة** مردودة على صاحبها غير مقبولة ، **فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت** : " **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** : (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) " متفق عليه .

▪ فمن أبي أن يعبد الله فهو **مستكبر كافر** ، ومن عبد الله بما شرعه وعبد معه غيره فهو **مشرك كافر** ، ومن يعبد الله في العلن ويشرك به في السر والخفاء فهو **زنديق منافق كافر** ، ومن عبد الله وحده بغير ما شرعه وكفر بما دونه فهو **مبتدع** ، ومن عبد الله وحده لا شريك له بما شرعه وكفر بما دونه فهو **المؤمن الموحد** .

▪ والعبادات منها ما يكون بالقلب وحده ، مثل الرجاء والخوف والمحبة والخشوع والتذلل والرغبة والرهبة والخشية والإنابة والتوكل .

▪ ومنها ما يغلب عليه اللسان ، مثل الدعاء – ومنه الإستعاذة والإستغاثة – والإستعانة والتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

▪ ومنها ما يغلب عليه الجوارح ، مثل الصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد والذبح وبر الوالدين وصلة الأرحام والصدقة وإماطة الأذي عن الطريق .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته " الأصول الثلاثة " : **(وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها الله تعالى. والدليل قوله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً) ، فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر.**

والدليل قوله تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) وفي الحديث: " الدعاء مخ العبادة " .

والدليل قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ).

ودليل الخوف قوله تعالى: (فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

ودليل الرجاء قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)

ودليل التوكل قوله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) وقال: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)

ودليل الخشية قوله تعالى (فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي)

ودليل الإنابة قوله تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ)

ودليل الاستعانة قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). وفي الحديث: " إذا استعنت فاستعن بالله "

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) ، و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)

ودليل الذبح قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ)

ومن السنة: " لعن الله من ذبح لغير الله "

ودليل النذر قوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً)) إنتهي كلامه رحمه الله. مع التنبيه علي أن حديث " الدعاء مخ العبادة " لا يصح ، وأصح منه قوله عليه الصلاة والسلام : " **الدعاء هو العبادة** " رواه أبو داؤود من حديث النعمان بن بشير .

- والعبادات لا يتقبلها الله إلا بشروط وهي : –

١. الإسلام أي الخلوص من **الشرك الأكبر** ، فلا يتقبل الله عملاً من كافر . قال تعالي مُخبراً عن أعمال الكفار الحسنة : **(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) (الفرقان ٢٣)** .

٢. أن تكون النية في فعلها خالصة لله جل وعلا ، أي الخلوص من **الشرك الأصغر** وهو الرياء قال عليه الصلاة والسلام : **" إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " قالوا " وما الشرك الأصغر يا رسول الله " ، قال " الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء** " رواه أحمد من حديث محمود بن لبيد .

وعن أبي هريرة قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) " رواه مسلم .

٣. أن تكون وفق ما جاء به النبي صلي الله عليه وسلم – كما تقدم – أي الخلوص من **البدع** .

فإذا توفرت هذه الشروط في عبادة العبد صارت من العمل الصالح الذي يتقبله الله ويرفعه إليه . قال تعالي : **(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)** (فاطر ١٠) .

▪ بعض أنواع العبادة : –

وسنبين هنا بحول الله وقوته – بشيئ من التفصيل – بعض العبادات التي حصل فيها الشرك في هذا الزمان والتي يحاول بعض مطموسي البصائر – من حيث يدرون أو لا يدرون – طمس معالمها والتغاضي عنها وتفسيق وتبديع – وفي بعض الأحيان تكفير – من صدع بها وبينها للناس ودعا الناس إلي توحيد الله بها وعدم صرفها لغير الله ورميه بأنه من الخوارج والتكفيريين وغير ذلك من العظائم ..

فالله المستعان وإليه المشتكي !! .

وخصومنا قد كفرونا بالذي هو غاية التوحيد والإيمان !

(١) الطاعة في التشريع : –

كما تقدم معنا فإن **التشريع** حق خالص لله وحده لا ينازعه فيه إلا طاغوت هالك ، وأن **التشريع** يدخل فيه **الأحكام كالحلال والحرام والحدود الشرعية كحد الردة والزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر وغيرها .**

فمن أطاع شرع الله وحده فأحل ما أحله الله وحرم ما حرمه الله فقد **عبد الله وحده لا شريك له** ومن أطاع شرعاً غير شرع الله – وكان ذلك الشرع يحل الحرام أو يحرم الحلال – فأحل ما أحله ذلك الشرع وحرم ما حرمه ذلك الشرع ، فقد **عبد صاحب ذلك الشرع** . وفيما يلي الأدلة علي ذلك : –

الطاعة في التشريع هي العبادة التي عبد بها قوم فرعون فرعون ، فقال تعالي عنه : **(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)** (الزخرف ٥٤) ، وقال تعالي: **(قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)** (غافر ٢٩) ..

فقوم فرعون لم يكونوا يصلون له ويذبحون له ويدعونه عند الشدائد ، ولكن كانوا يطيعونه في تشريعاته التي تستحل حُرمات بني إسرائيل من قتل أبنائهم واستحياء نسائهم ، قال تعالي : **(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)** (القصص ٤) .

قال تعالي : **(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)** (التوبة ٣١) .

روي الطبراني في المعجم الكبير **عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال : (يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك) فطرحته فانتهيت اليه وهو يقرأ سورة براءة فقرأ هذه الآية {اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله} حتى فرغ منها فقلت إنا لسنا نعبدهم فقال : (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه و يحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟) قلت بلى قال : (فتلك عبادتهم) " .**

وعامة المفسرين يفسرون هذه الآية بمعني هذا الحديث .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية **(وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، وقال السدي: استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً) أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه أتبع وما حكم به نفذ (لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه.)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وعن أبي البختري قال : " سئل حذيفة رضي الله عنه عن هذه الآية { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله } أكانوا يُصَلُّون لهم؟! ، قال (لا ولكنهم كانوا يحلون لهم ما حرم الله عليهم فيستحلونه ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم فيحرمونه فصاروا بذلك أربابا) " رواه البيهقي في سننه .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه " التوحيد الذي هو حق الله علي العبيد " **(باب من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله فقد إتخذهم أرباباً من دون الله) .**

فالأحبار والرهبان كانوا يحلون للنصاري الحرام ويحرمون عليهم الحلال ، والنصاري كانوا يعلمون أنهم يفعلون ذلك ومع هذا أطاعوهم في ذلك **التشريع** الذي يحل الحرام ويحرم الحلال فسمي الله جل وعلا فعلهم هذا **شركاً (**

سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) لأنهم بتلك **الطاعة** للأحبار والرهبان صرفوا لهم **عبادة** من العبادات كما قال علية الصلاة والسلام (**فتلك عبادتهم**) ، وهذا النوع من الشرك هو ما إصطلح العلماء علي تسميته **شرك الطاعة** .
والنصاري بطاعتهم لشرع الأحبار والرهبان تجاوزوا بهم حدهم وجعلوهم طواغيت وأنداداً وشركاء وأرباباً باطلة معبودة من دون الله (**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**) .

وفي ما فعله النصاري مع أحبارهم ورهبانهم نلاحظ ما يلي : –

- أن الله ورسوله ذكرا أن النصاري أشركوا وكفروا بمجرد **طاعتهم** لشرع الأحبار والرهبان ولم يشيرا أدني إشارة إلي **إعتقاد** النصاري – أي ما في قلوبهم – بأن النصاري **إعتقدوا** أن للأحبار والرهبان الحق في **التشريع** مع الله ، إذ أنهم لو إعتقدوا ذلك فقد أشركوا بالله جل وعلا في **ربوبيته** – **حتي لو لم يطيعوهم في تشريعهم هذا !!** – وهذا شرك وكفر **مستقل بذاته** وهو شرك في **الربوبية** وهو غير الشرك الذي جاء في الدليل والذي هو شرك في العبادة **(الألوهية)** بطاعة الأحبار والرهبان التي سماها عليه الصلاة والسلام **عبادة** . فتأمل!!

- ولم يشيرا إلي أنهم إعتقدوا أو قالوا أن شرع الأحبار والرهبان **أفضل** من شرع الله ، فإنهم إن إعتقدوا أو قالوا ذلك فقد كفروا بالله جل وعلا – **حتي لو لم يطيعوهم في تشريعهم هذا !!** – فهذا أيضاً شرك وكفر **مستقل بذاته** غير الكفر الذي جاء في الدليل . فتأمل!!

- ولم يشيرا أدني إشارة إلي أن النصاري **إستحلوا** طاعة الأحبار والرهبان في تشريعهم ذلك ، فالله جل وعلا ورسوله والصحابة والمفسرون والعلماء لم يقولوا أن النصاري كفروا وأشركوا لأنهم قالوا :**(يحل لنا** أو **يجوز لنا** أن نُطيع الأحبار والرهبان في تحليل الحرام أو تحريم الحلال) ، فإنهم إن قالوا ذلك فقد كفروا بالله جل وعلا – **حتي لو لم يطيعوهم في تشريعهم هذا !!** – لأن هذا القول كفر **مستقل بذاته** .
بل كفَّروهم بمجرد **الطاعة في التشريع** وليس **بإستحلال الطاعة في التشريع** ، أي كفروهم بمجرد **المعصية** وليس **بإستحلال المعصية** . فتأمل!!

وهذه الشبه **كالإعتقاد والتفضيل والإستحلال** – رغم أن أي منها **كفر مستقل بذاته** – هي مما يشغب به جهمية العصر أدعياء السلفية علي مثل هذه الأدلة الناصعة والبراهين الساطعة جدالاً عن الطواغيت بدون تورع وخوف من الله العزيز الحميد ، فيقولون في دين الله بغير علم ويحمِّلون الأدلة ما لا تحتمل ويقولون أقوالاً ما سبقهم بها إلا جهم بن صفوان ومن دار في فلكه وبعد هذا كله وبغير حياء من الله ولا من خلقه يدَّعون الإنتساب للسلف الصالح !! .

- ويجب التفريق في هذا الموضع بين : –

١. طاعة غير الله في **فعل المعصية** نفسها ، وبين ..
٢. طاعة غير الله في **تغيير حكم المعصية من حرام إلي حلال** .

فالأول ليس من الكفر والشرك – إلا إذا كانت هذه المعصية من نواقض الإسلام – بل هو من جنس الذنوب والمعاصي التي لا تُخرج صاحبها من الإسلام .

والثاني وهو من الكفر والشرك وهي نفسها عبادة **الطاعة في التشريع** التي صرفها النصاري للأحبار والرهبان .

ولإيضاح الفهم أكثر نضرب هذا المثل : –

((لو أن **زيداً** قال **لعمر** : " **إشرب الخمر فإنها حلال** " ، فإن **عمر** إذا طاوعه في ذلك فإن له حالات :

١. أن **لا يطاوعه في أن الخمر حلال** – بل يقول هي محرمه – ولكن **يطاوعه في شُربها** ، فهذا من النوع الأول غير المُكفِّر وهو بهذا إرتكب كبيرة من الكبائر غير مخرجة من الملة وهي شرب الخمر .

٢. أن **يطاوعه** – نطقاً أو كتابةً – **في أن الخمر حلال** ، فهذا – **وإن لم يشرب الخمر** – قد وقع في الكفر والشرك بصرفه عبادة **الطاعة في التشريع لزيد** ، فهذا من النوع الثاني المُكفر والذي وقع فيه النصاري عند طاعتهم للأحبار والرهبان .

٣. أن **يشرب الخمر فقط دون أن يصرِّح بأي قول يدل علي أنه يطاوع زيد في تشريعه أن الخمر حلال** ، فهذا فعله محتمل للكفر فيسأل عن قصده من شرب الخمر ، فإن قال **بحرمتها** ولكن شربها لشهوة منه فهذا من النوع الأول أي أنه **فاسق** مرتكب لكبيرة وليس بكافر ، وإن قال **بحلِّها** فهو من النوع الثاني أي أنه **مُشرك كافر** عابد لزيد بعبادة الطاعة في التشريع .

و**زيد** في كل الأحوال **طاغوت** كافر نازع الله في حق **التشريع** لعباده مثل أحبار ورهبان النصاري)) .

فتأمل هذا وأفهمه جيداً عسي الله أن يعصمك من شبهات القوم مطموسي البصائر ، نسأل الله السلامة والعافية.

وقال تعالي : (**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**) (**الأنعام ١٢١**) .

وكما جاء في سبب نزول هذه الآية أن المشركين قالوا للصحابة : (أتأكلون ما قتلتم بأيدكم – أي الذبيحة – ولا تأكلون ما قتل الله – أي الميتة – ؟) . أي يريدون إن أكل الميتة التي قتلها الله أيضاً حلال مادام أن أكل الذبيحة التي قتلتموها أنتم حلال !! ، والمعروف أن أكل الميتة في شرع الله **حرام** .

فبين الله جل وعلا أن أكل مالم يذكر اسم الله عليه – من غير إستحلال – فسق ومعصية غير مكفرة (**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**) ، وأن طاعة المشركين في تشريعهم هذا **(الميتة حلال)** أنه من الشرك وصرف العبادة لغير الله (**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**) . وهي عبادة **الطاعة في التشريع** نفسها التي صرفها النصاري للأحبار والرهبان .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (**وقوله تعالى**: (**وإن أطعتموهم إنكم لمشركون**) **أي حيث عدلتم، عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك ، كقوله تعالى** : (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**) **الآية ، وقد روى الترمذي: في تفسيرها عن عدي بن حاتم، أنه قال: يا رسول الله ما عبدوهم، فقال «بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم»**.) . إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال القرطبي في تفسيرها : **(قوله تعالى: "وإن أطعتموهم" أي في تحليل الميتة "إنكم لمشركون". فدلت الآية على أن من استحل شيئا مما حرم الله تعالى صار به مشركاً ، وقد حرم الله سبحانه الميتة نصاً؛ فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك)** . إنتهي كلامه رحمه الله .

- وما قلناه في الدليل السابق نقوله في هذا الدليل أن الآية لم تشر إلي الإعتقاد أو التفضيل أو الإستحلال لطاعة المشركين في التشريع ، ونضيف إلي ذلك أن الآية لم تشر أن المشركين عندما أحلوا الميتة للمسلمين أنهم **نسبوا ذلك التشريع إلي الله** ، أي أنهم قالوا : **(الميتة حلال وهذا شرع الله) !** ، بل هو محض شرع شياطينهم من الجن والإنس كما قال جل وعلا : **(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)** .

- ويستفاد من هذه الآية أن طاعة غير الله جل وعلا في التشريع المُصادم لشرع الله شرك وكفر وردة **ولو في تشريع واحد** – مثل تشريع تحليل الميتة – فالله لم يشترط أن يطيعهم المسلمون في كل تشريعاتهم حتي يقع منهم الكفر والشرك ، بل بين أن طاعتهم في هذا التشريع فقط – **تحليل الميتة** – هو وقوع في الكفر والشرك **(وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)** .

قال الشيخ الشنقيطي في تفسير قوله تعالي **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)** **(الإسراء ٩)** في " أضواء البيان " : **(ومن هدي القرآن للتي هي أقوم : بيانه أن كل من اتبع تشريعاً غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفرٌ بواحٌ مخرجٌ من الملة الإسلامية. ولما قال الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم: الشاة تصبح ميتة من قتلها؟ فقال لهم: «الله قتلها» فقالوا له: ما ذبحتم بأيديكم حلال، وما ذبحه الله بيده الكريمة تقولون إنه حرام! فأنتم إذن أحسن من الله؟! أنزل الله فيهم قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) وحذف الفاء من قوله (إنكم لمشركون) يدل على قسم محذوف على حد قوله في الخلاصة:**

واحذف لدي اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم.

إذ لو كانت الجملة جوابا للشرط لاقترنت بالفاء على حد قوله في الخلاصة أيضا:

واقرن بِفَا حتماً جوابا لو جعل شرطا لإن أو غيرها لم ينجعل.

فهو قسم من الله جل وعلا أقسم به على أن من اتبع الشيطان في تحليل الميتة أنه مشرك، وهذا الشرك مخرج عن الملة بإجماع المسلمين، وسيوبخ الله مرتكبه يوم القيامة بقوله: (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) لأن طاعته في تشريعه المخالف للوحي هى عبادته .) إنتهي كلامه رحمه الله .

قال تعالي : **(إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)** (التوبة ٣٧) .

والنسيء هو تحليل لأحد الأشهر الحرم الأربعة التي حرمها الله ، وتحريم لأحد الأشهر الحِل ، وهو مما كان يفعله الكفار في الجاهلية فيزدادون بذلك كفراً فوق كفرهم وشركهم .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (**هذا مما ذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة، وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله ، فإنهم كان فيهم من القوة الغضبية والشهامة والحمية ما استطالوا به مدة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم فأخروه إلى صفر فيحلون الشهر الحرام ويحرمون الشهر الحلال ليواطئوا عدة ما حرم الله الأشهر الأربعة**) إنتهي كلامه رحمه الله .

قال ابن حزم في " الفصل في الملل والأهواء والنحل " (٣/١١٤) تعليقاً علي هذه الآية : (**وبحكم اللغة التي بها نزل القرآن أن الزيادة في الشيء لا تكون البتة إلا منه لا من غيره فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال وهو تحليل ما حرم الله تعالى فمن أحل ما حرم الله تعالى وهو عالم بأن الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه**) إنتهي كلامه رحمه الله .

- وهذا التحليل للحرام والتحريم للحلال بين الله جل وعلا أنه من الزيادة في الكفر والضلال ، وهو من التشريع الذي كان **يطيع** فيه الكفار أحد **طواغيت** الجاهلية .

قال ابن كثير في تفسير نفس الآية : (**وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلى الموسم على حمار له فيقول: يا أيها الناس إني لا أعاب ولا أجاب ولا مرد لما أقول ، إنا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفر. ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول إنا قد حرمنا صفر وأخرنا المحرم**) إنتهي كلامه رحمه الله .

فالكفار كانوا **يطيعون** هذا **الطاغوت** في تحليل الحرام وتحريم الحلال ، فازدادوا بذلك كفراً إلي كفرهم وشركهم .

قال تعالي : (**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) (الشورى ٢١) .

فبين الله جل وعلا في هذه الآية – كما تقدم – أن من يشرع للناس **ديناً** غير ما شرعه الله أنه **شريك** لله ، ومن يطيع تشريع هذا **الشريك** – **ولو في تشريع واحد** – فقد عبده من دون الله وأشركه مع الله في **الألوهية** ، وإن لم يطعه ولكن إدعي أن لهذا **الشريك** الحق في تشريع مثل هذا التشريع الذي يحل الحرام أو يحرم الحلال ، فقد أشركه مع الله في **الربوبية** .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٨/٥٢٤) (**ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام، أو اتباع شريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب، كما قال تعالي: (إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن**

يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا)) أنتهي كلامه رحمه الله .

فهذا من **سوغ** وأجاز ذلك التشريع ، فكيف بمن **ألزم** الناس به وعاقب من خرج عليه وخالفه !!.

وقال أيضاً في الفتاوي الكبري (٣٣٩/٦) : (**والإيجاب والتحريم ليس إلا لله ولرسوله، فمن عاقب على فعل أو ترك بغير أمر الله ورسوله وشرع ذلك ديناً فقد جعل لله نداً ولرسوله نظيراً بمنزلة المشركين الذين جعلوا لله نداً، أو بمنزلة المرتدين الذين آمنوا بمسيلمة الكذاب وهو ممن قيل فيه: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله))** أنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الإمام ابن القيم في " أحكام أهل الذمة " (٢٥٩/١) (**وقد جاء القرآن، وصحّ الإجماع بأن دين الإسلام نسخ كل دين كان قبله، وأن من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل، ولم يتبع القرآن، فإنه كافر، وقد أبطل الله كل شريعة كانت في التوراة والإنجيل وسائر الملل، وافترض على الجن والإنس شرائع الإسلام، فلا حرام إلا ما حرمه الإسلام، ولا فرض إلا ما أوجبه الإسلام.**) أنتهي كلامه رحمه الله .

فهذا فيمن إلتزم شريعة هي في الأصل من عند الله ، فكيف بمن إلتزم شريعة هي من وضع زبالة أذهان حثالة البشر ؟!

- ومثل هذه التشريعات التي تحل الحرام وتحرم الحلال وتصادم الشريعة " **القوانين الوضعية** "

من دساتير وقوانين جنائية وغيرها ، والتي يحكم بها طواغيت الحكم في بلاد الإسلام **ويجبرون** المسلمين علي التحاكم إليها **ويلزمونهم** بها و**يعاقبون** من خرج عليها وخالفها ، فهي تحل محرمات مجمع علي حرمتها كتجويز منصب الإمامة الكبري – منصب الرئاسة – لأي كافر يهودي أو نصراني أو غيره مادام أنه مواطن لتلك الدولة التي هي في الأصل أرض إسلام ، أي أن منصب الإمامة في **دين** القوانين الوضعية لا يشترط فيه أن يكون الإمام مسلماً بل يشترط أن يكون مواطناً في تلك الدولة ، **وهذا تحليل للحرام بالإجماع** .

قال النووي في شرح صحيح الإمام مسلم (٢٢٩/١٢) : (**قال القاضي عياض : " أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر إنعزل** ") .

وكذلك تجوِّز وتحلل الردة عن الإسلام بما يعرف بضمان حرية الإعتقاد لكل فرد من أفراد تلك الدولة ، وهذا يتضمن أيضاً إلغاء حد الردة .

وتجوِّز وتُرخص للأحزاب الجاهلية الكافرة كالشيوعية والديموقراطية والعلمانية لتمارس جميع نشاطاتها الكفرية المحاربة لدين الله وشريعته باسم التعدُدِية الحزبية وممارسة العمل السياسي . وهذا ترخيص للكفر .

وترخص للكفرة الفجرة المحادِّين لله ورسوله من الإعلاميين في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة بنشر كفرهم وشركهم وحربهم علي الله ورسوله وشريعته باسم حرية الرأي والتعبير .

وكذلك إستحلال أموال المسلمين بالباطل بما يُعرف بالضرائب والجمارك ، فيأكلون بأمثال هذه القوانين أموال المسلمين بالباطل ، وكذلك تجوِّز الربا بما يسمي الفوائد البنكية .

وأيضاً تُحرم محللات بل واجبات ظاهرة متواترة مثل تحريم جهاد الكفار غير الذميين ما داموا مواطنين في تلك الدولة ، وتحريم جهاد الكفار المغتصبين لأراضي المسلمين وملاحقة كل من سعي في جهادهم وقتالهم من إخواننا المجاهدين والزج بهم في غياهب السجون وما يصاحب ذلك من تعذيب وتنكيل وكل ذلك لإرضاء الكفرة المحاربين من اليهود والصليبيين والطواغيت المرتدين .

وأيضاً تُسقط الحدود الشرعية كحد السرقة والزنا والقذف وغيرها ، وتأتي مكانها بعقوبات ما أنزل الله بها من سلطان ..

وأيضاً تساوي بين الصالح والطالح والمسلم والكافر في جميع الحقوق والواجبات ماداموا مواطنين في تلك الدولة وهذه مُصادمة صريحة لنصوص الكتاب والسنة .

بل تُقرب هذه القوانين شِرار الخلق وتولِّيهم مصالح العباد ، وتبعد خيار الناس من العلماء الربانين الصادعين بالتوحيد والكفار بالطواغيت ، وتؤذيهم وتُنكل بهم .

- ومشرِّعوا مثل هذه القوانين والحاكمين بها **طواغيت** ، والذي يتحاكم إليها أو يرضي بها مرتكب للكفر والشرك . نسأل الله السلامة والعافية .

- مع ملاحظة أن **القوانين الوضعية** فيها ما هو **شركي** من تحليل للحرام أو تحريم للحلال ومصادمة للشريعة والتي من أطاعها أو إلتزم بها أو حكم بها أو تحاكم إليها فقد وقع في الشرك أو الطغيان . ومنها ما هو **إداري** الغرض منه التنظيم والترتيب وليس فيها مصادمة صريحة لشرع الله ، كقوانين المُرور وما شابهها.

قال الشيخ الشنقيطي في تفسيره لآية (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) (الكهف ٢٦) : **(إعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضى تحكيمه الكفر بخالق السموات والأرض، وبين النظام الذي لا يقتضى ذلك. وإيضاح ذلك أن النظام قسمان: إداري، وشرعي. أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم. وقد عمل عمر رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النَّبي صلى الله عليه وسلم. ككتبه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط، ومعرفة من غاب ومن حضر كما قدمنا إيضاح المقصود منه في سورة «بني إسرائيل» في الكلام على العاقلة التي تحمل دية الخطأ، مع أن النَّبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك، ولم يعلم بتخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك إلا بعد أن وصل تبوك صلى الله عليه وسلم. وكاشترائه – أعني عمر رضي الله عنه – دار صفوان بن أمية وجعله إياها سجناً في مكة المكرمة، مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يتخذ سجناً هو ولا أبو بكر.**

فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تفعل لإتقان الأمور مما لا يخالف الشرع لا بأس به. كتنظيم شؤون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع. فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة .

وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض. كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث. وكدعوى أن تعدد

الزوجات ظلم، وأن الطلاق ظلم للمرأة، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان، ونحو ذلك.

فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفر بخالق السموات والأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن أن يكون معه مشرع آخر علواً كبيراً (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُواْ لَهُمْ مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ ٱللَّهُ) ، (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ) ، (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَذَا حَلاٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَىٰ ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ)) أنتهي كلامه رحمه الله .

(٢) التحاكم إلى شرع الله : –

والتحاكم لشرع الله من العبادات التي يتقرب بها إلي الله ولا يجوز صرفها لغيره ، فمن **تحاكم** عند التخاصم ورد النزاع إلي شرع الله فقد عبد الله جل وعلا ، ومن **تحاكم** عند التخاصم ورد النزاع إلي شرع غير شرع الله فقد عبد الطاغوت صاحب ذلك الشرع . وفيما يلي الأدلة علي ذلك : –

قال تعالي : **(وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا**

كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)) (النور)

في هذه الآيات يتحدث الله جل وعلا عن بعض صفات الكفرة المنافقين وهي أنهم إذا تنازعوا في شيئ وكان الحق لهم تحاكموا إلي النبي صلي الله عليه وسلم وإن لم يكن لهم الحق تحاكموا إلي غيره ، وبيَّن جل وعلا أن من صفات المؤمنين المفلحين أنهم يتحاكمون عند كل نزاع إلي شرع الله ، وهذا مما مدحهم الله جل وعلا به مما دل علي أن **التحاكم لشرع الله** من **العبادات** التي يحبها الله جل وعلا ويرضاها .

قال تعالي : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)**) (النساء)

وكما تقدم معنا في هذه الآيات أن من رد نزاعاً لشرع غير شرع الله فهو مشرك كافر ليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر .

وأن **التحاكم** إلي من يحكم بشرع غير شرع الله هو **تحاكم للطاغوت** وصرف عبادة له وعدم كفر به .

قال ابن كثير في تفسير الآيات أعلاه من سورة النساء : (**هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخصاما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف، وقيل: في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة. وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا**) إنتهي كلامه رحمه الله .

وهؤلاء أكفرهم الله بمجرد إرادتهم التحاكم لمن يحكم بغير شرع الله ، حتي قبل أن يقع منهم التحاكم لذلك الطاغوت ، وفيه دليل علي أن العازم علي إرتكاب الكفر مستقبلاً كفر في الحال .

قال تعالي : (**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**) (الشوري ١٠)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (**ثم قال عز وجل: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) أي مهما اختلفتم فيه من الأمور وهذا عام في جميع الأشياء (فحكمه إلى الله) أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)**) .

قال تعالي : (**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) (النساء ٦٥) .

في هذه الآية أقسم الله جل وعلا بذاته العظيمة أن من لم يرد نزاعاً إلي شرع الله بل رد النزاع إلي غير شرع الله أنه ليس بمؤمن ، ونفي الإيمان في هذه الآية هو لأصل الإيمان وليس لكمال الإيمان الواجب ، لأن الأصل في الكلام العربي الحقيقة لا المجاز .. ولا يُصار إلي المجاز إلا بقرينة من القرآن أو السنة تصرف النص عن ظاهره أي تصرفه من أصل الإيمان إلي كمال الإيمان الواجب ، ومما يدل علي أن النفي لأصل الإيمان قوله تعالي : (**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**) . كما تقدم معنا في هذه الآية .

قال أبوبكر الجصاص في كتابه (أحكام القرآن) في تفسير هذه الآية (**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ...**) : (**وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم، وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم؛ لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي صلى الله عليه وسلم قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان**)

قال تعالي : (**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) (المائدة ٥٠) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (**ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير**) إنتهي كلامه رحمه الله .

فالتتار – الذين كانوا يُظهرون الإسلام – كانوا يحكمون ويتحاكمون فيما بينهم إلي هذا الياسق الذي شرعه لهم طاغوتهم جنكيز خان **ويبدأون** بالحكم به قبل الكتاب والسنة وهذا معني **(يقدمونه)** التي في كلام ابن كثير ، وليس كما تقول المرجئة الجهمية أن معناها أنهم يقولون (أن الياسق **أفضل** من شرع الله)! .. إذ لو قالوا ذلك لكانوا كفروا وإرتدوا – **وإن لم يحكموا ويتحاكموا إلي الياسق !!** – فهذا **كفر مستقل بذاته** غير ما فعله التتار وذكره ابن كثير في تفسير هذه الآية . فتأمل !! .

وقد نقل ابن كثير **الإجماع** علي أن **التحاكم** للشرائع المنسوخة كالتوراة والإنجيل كفر بالله العظيم حيث قال في معرض كلامه عن ياسق التتار في " البداية والنهاية " (١٣/ ١١٨-١١٩) : (**فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه !! ، من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين**) إنتهي كلامه رحمه الله .

فإذا كان من تحاكم إلي الشرائع المنسوخة – والتي هي في أصلها من عند الله – كافر مُشرك ، فكيف بمن تحاكم إلي شرائع ودساتير وقوانين من زبالة أذهان البشر ونحاتة أفكارهم مثل ياسق التتار والقوانين الوضعية الوضيعة الموجودة اليوم ؟!!

قال الشيخ محمد حامد الفقي – رئيس جماعة أنصار السنة المُحمدية !!! بمصر سابقاً – مُعلقاً علي قول ابن كثير في تفسير آية المائدة السابقة في هامش كتاب " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد " (ص ٤٠٦) : (**ومثل هذا وشر منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله. ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها**) إنتهي كلامه رحمه الله .

فالتتار أخف ضرراً وكفراً وشراً علي المسلمين من طواغيت الحُكم الحاكمين بالقوانين الوضعية الشركية الجاثمين اليوم علي صدر الأُمة الإسلامية ، فالتتار كانوا يحكمون ويتحاكمون إلي الياسق فيما بينهم ولا يُلزمون به أحداً غيرهم ، أما طواغيت اليوم فيتحاكمون بالقوانين الشركية فيما بينهم ويُلزمون بها من تحت أيديهم من المسلمين ويأطرونهم عليها أطراً . فإلي الله المشتكي!! .

وقريب من قول ابن كثير – في تفسير آية المائدة السابقة عن التتار – قول الإمام الشوكاني عن بعض من خرج عن سلطان دولة الإسلام في زمانه حيث قال في رسالته " الدواء العاجل في دفع العدو الصائل " ضمن الرسائل السلفية : (**فلنبيّن لك حال القسم الثاني : وهو حكم أهل البلاد الخارجة عن أوامر الدولة ونواهيها – إلى قوله – منها أنهم يحكمون ويتحاكمون إلى من لا يعرف إلا الأحكام الطاغوتية منهم في جميع الأمور التي تنوبهم وتعرض لهم من غير انكار ولا حياء من الله ولا من عباده ولا يخافون من أحد بل قد يحكمون بذلك بين من يقدرون على الوصول إليهم من الرعايا ومن كان قريبا منهم. وهذا الأمر معلوم لكل أحد من الناس لا يقدر أحد على انكاره ودفعه وهو أشهر من نار على علم.**

ولاشك ولا ريب أن هذا كفر بالله سبحانه وتعالى وبشريعته التي أمر بها على لسان رسوله واختارها لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله. بل كفروا بجميع الشرائع من عند آدم عليه السلام إلى الآن ..

وهؤلاء جهادهم واجب وقتالهم متعين حتى يقبلوا أحكام الإسلام ويذعنوا لها ويحكموا بينهم بالشريعة المطهرة ويخرجوا من جميع ما هم فيه من الطواغيت الشيطانية) . إنتهي كلامه رحمه الله .

- ففي هذا الزمان إنتشرت في بلاد المسلمين المحاكم الجنائية والتي تحكم بين الناس بالقوانين الوضعية الطاغوتية المخالفة للشريعة الإسلامية ، **فالتحاكم** إلي مثل هذه المحاكم هو من **التحاكم إلي الطاغوت** ومن الشرك الأكبر المخرج من الملة ، لأنه صرف لعبادة **التحاكم** إلي الطاغوت الذي وضع القوانين الشركية المخالفة لشرع الله ، والطاغوت الذي حكم بها .

فلا يجوز التحاكم إلي مثل هذه المحاكم الطاغوتية – إلا في حالة الإكراه – مهما كانت المفسدة المترتبة علي ذلك ، وإن كانت المفسدة في النفوس والأموال والأعراض ، لأن حفظ الدين من الضياع بالكفر والشرك مقدم علي حفظ غيره من الضروريات .

قال الشيخ سليمان بن سحمان في الدرر السنية (١٠/٥١٠-٥١١) في رده علي من قال (إذا لم نتحاكم لشرائع الطاغوت سنتقاتل !!) : (**إذا عرفت أن التحاكم إلي الطاغوت كفر ، فقد ذكر الله في كتابه أن الكفر أكبر من القتل ، قال (والفتنة أكبر من القتل) وقال (والفتنة أشد من القتل) ، والفتنة : هي الكفر ..**

فلو إقتتلت البادية والحاضرة حتي يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتاً يحكم بخلاف شريعة الإسلام التي بعث الله بها رسوله صلي الله عليه وسلم) إنتهي كلامه رحمه الله .

(٣) الحكم بما انزل الله : –

والحكم بشرع الله في الرعية وبينهم هو من العبادات التي أمر الله بها والتي يتقرب بها إلي الله كل من له سلطة حكم في الناس وسلطة إلزامهم بالأحكام سواء أكان حاكماً أو من ينوب عنه كالقضاة والعلماء ونحوهم ، فهؤلاء يجب أن يحكموا بين الناس بشرع الله ، فمن حكم بين الناس وفيهم بشرع الله فقد صرف عبادة **الحكم** لله جل وعلا ، ومن من حكم فيهم بشرع غير شرع الله كالقوانين الوضعية الشركية المخالفة لشرع الله ، فقد **عبد الطاغوت** صاحب ذلك التشريع والقانون ، ويكون **الحاكم** في هذه الحالة – مع كونه مُشركاً بصرفه لعبادتي **الحكم** و**الطاعة في التشريع** لغير الله – **طاغوتا**ً صُرفت له عبادة **التحاكم** لشرعه وقانونه . وفيما يلي الأدلة علي ذلك : –

قال تعالي : (**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) (يوسف ٤٠) .

قال الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية : (" **إن الحكم إلا لله " وحده ، فهو الذي يأمر وينهى ، ويشرع الشرائع ، ويسن الأحكام)**

فالله قصر الحكم علي نفسه وحده لا شريك له ، وأمر بعبادته وحده لا شريك له ، فالحكم من العبادات التي لا يقبل الله أن يُشرك معه غيره فيها ، كما قال تعالي : (**وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**) (**الكهف ١١٠**) ، وقال : (**وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**) (**الكهف ٢٦**) .

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية الأخيرة : ((**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكمِهِ أحَداً**) **يقول : ولا يجعل الله في قضائه، وحكمه في خلقه أحدا سواه شريكاً، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم، وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحبّ.**)

ويقول السعدي في " تيسير الكريم الرحمن " في تفسير نفس الآية : (**وهذا يشمل الحكم الكوني القدري ، والحكم الشرعي الديني ، فإنه الحاكم في خلقه ، قضاءً وقدراً ، وخلقاً وتدبيراً والحاكم فيهم ، بأمره ونهيه ، وثوابه وعقابه .**)

ويقول الشنقيطي في " أضواء البيان " في تفسير نفس الآية : (**قوله تعالى:** (وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا). **قرأ هذا الحرف عامة السبعة ما عدا ابن عامر (ولا يشرك) بالياء المثناة التحتية، وضم الكاف على الخبر، ولا نافية والمعنى: ولا يشرك الله جل وعلا أحداً في حكمه، بل الحكم له وحده جل وعلا لا حكم لغيره ألبتة، فالحلال ما أحله تعالى، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه. والقضاء ما قضاه. وقرأه ابن عامر من السبعة. (ولا تشرك) بضم التاء المثناة الفوقية وسكون الكاف بصيغة النهي، أي لا تشرك يا نبي الله. أو لا تشرك أيها المخاطب أحداً في حكم الله جل وعلا، بل أخلص الحكم لله من شوائب شرك غيره في الحكم. وحكمه جل وعلا المذكور في قوله:** (وَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا) **شامل لكل ما يقضيه جل وعلا. ويدخل في ذلك التشريع دخولاً أولياً .**

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون الحكم لله وحده لا شريك له فيه على كلتا القراءتين جاء مبيناً في آيات أخر. كقوله تعالى: (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ) **وقوله تعالى:** (وَقَالَ يٰبَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَٱدْخُلُواْ) ، **وقوله تعالى:** (وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ) ، **وقوله تعالى:** (ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دعي ٱللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ للَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ) ، **وقوله تعالى:** (كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ، **وقوله تعالى:** (لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلاٍّولَىٰ وَٱلاٍّخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ، **وقوله:** (أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) . **وقوله تعالى:** (أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِىۤ أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَابَ مُفَصَّلاً) ، **إلى غير ذلك من الآيات.**

ويفهم من هذه الآيات كقوله (وَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا) **أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله. وهذا المفهوم جاء مبيناً في آيات أخر. كقوله فيمن اتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله:** (وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّه لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ

لَمُشْرِكُونَ) فصرح بأنهم مشركون بطاعتهم. وهذا الإشراك في الطاعة، واتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى ، هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابنِيَ ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ ٱلشَّيطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) ، وقوله تعالى عن نبيه إبراهيم: (يأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ ٱلشَّيْطانَ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً) ، وقوله تعالى: (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً) أي ما يعبدون إلا شيطاناً، أي وذلك باتباع تشريعه. ولذا سمى الله تعالى الذين يطاعون فيما زينوا من المعاصي شركاء في قوله تعالى: (وَكَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ) . وقد بين النَّبي صلى الله عليه وسلم هذا لعدي بن حاتم رضي الله عنه لما سأله عن قوله تعالى: (ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ) فبين له أنهم أحلوا لهم ما حرم الله، وحرموا عليهم ما أحل الله فاتبعوهم في ذلك، وأن ذلك هو اتخاذهم إياهم أرباباً.

ومن أصرح الأدلة في هذا: أن الله جل وعلا في سورة النساء بين أن من يريدون أن يتحاكموا إلى غير ما شرعه الله يتعجب من زعمهم أنهم مؤمنون، وما ذلك إلا لأن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت بالغة من الكذب ما يحصل منه العجب. وذلك في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً) .

وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور: أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم.) إنتهي كلامه رحمه الله .

قال تعالي : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) (النساء١٠٥) .

فبين الله جل وعلا أنه أنزل الكتاب علي رسوله عليه الصلاة والسلام ليحكم بين الناس بحكم الله وحده لا بحكم غيره .

قال السعدي في تفسير هذه الآية : (وأخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس . وفي الآية الأخرى : "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " ، فيحتمل أن هذه الآية في الحكم بين الناس في مسائل النزاع والاختلاف . وتلك في تبيين جميع الدين وأصوله وفروعه . ويحتمل أن الآيتين كلتيهما معناهما واحد . فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفي العقائد وفي جميع مسائل الأحكام .

وقوله : (بما أراك الله) أي : لا بهواك ، بل بما علمك الله وألهمك . كقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى). وفي هذا دليل على عصمته صلى الله عليه وسلم ، فيما يبلغ عن الله من جميع الأحكام وغيرها . وأنه يشترط في الحكم ، العلم والعدل لقوله : (بما أراك الله) ولم يقل : بما رأيت.) إنتهي كلامه رحمه الله .

قال تعالي : (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) (المائدة ٤٩) .

فأمر الله جل وعلا حاكم الناس في زمانه وهو النبي صلي الله عليه وسلم أن يحكم بين الرعية

بحكم الله وحده لا شريك الله ، وألَّا يتبع أهوائهم المُصادمة لشرع الله التي هي من نحاتة أذهانهم وزبالة أفكارهم وإن كان أصحاب هذه الأهواء هم الغالبية من الرعية ، لأن الغالبية من الناس تكون أهوائهم وآراءهم وما يريدونه ويرغبون به ويتمنونه ، مصادماً لشرع الله ومخالفاً له ..

قال تعالي : (**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**) (**الأنعام ١١٦**) .

وفي هذا ردٌ قاطع علي كل من يتبنون ويتبعون رأي الأغلبية من الناس للحكم به بينهم وإن كان مصادماً ومخالفاً لشرع الله جل وعلا كما في **دين الديمقراطية** ، ومع هذا يدَّعون الإنتساب **لدين الإسلام !!** .

ونقل الإمام ابن حزم **الإجماع** علي أن **الحُكم** بالإنجيل – وهو شريعة منسوخة – كفر وردة ، حيث قال في " الإحكام " (١٧٣/٥) (**لا خلاف بين إثنين من المسلمين أن من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأت بالنصّ عليه وحيٌ في شريعة الإسلام فإنه كافر مشرك خارج عن الإسلام**) إنتهي كلامه رحمه الله .

فهذا في من حكم بالإنجيل الذي هو في أصله شريعة سماوية من عند الله ، فكيف بمن حكم بشرائع هي من نحاته أفكار حثالة البشر **!!** .

- ومسألة **الحكم بغير ما أنزل الله** من المسائل التي ضل فيها خلق كثير من المبتدعة منذ عهد الصحابة إلي زماننا هذا ..
- **فالخوارج** قالوا أن **الحكم بغير ما أنزل الله** – بكل صورهِ – هو في الأصل كفرٌ مخرج من الملة وأدخلوا في ذلك حكام المسلمين من بني أمية وغيرهم ممن كانوا يحكمون بالشريعة الإسلامية ولكن يحصل منهم **الجور والظلم** للرعية ، وأدخلوا في ذلك حتي عُصاة المسلمين وكفروهم بآيات من متشابه القرآن وعموماته التي تشمل أكثر من صوره وتحتمل أكثر من وجه للتأويل ، كقوله تعالي : (**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**) (**المائدة ٤٤**) .

وقالوا أن العاصي مرتكب الكبيرة – غير المكفرة – كالسارق والزاني وشارب الخمر وقاتل النفس هو **بمجرد إرتكابه** لهذه الكبيرة فقد حكم بغير ما أنزل الله فهو بنص الآية – السابقة – كافر كفراً أكبر مخرج من الملة .

قال أبو حيّان الأندلسي في البحر المحيط (٤٩٣/٣) : (**واحتجّت الخوارج بهذه الآية على أنَّ كلّ من عصى الله فهو كافر ! وقالوا: هي نصّ في أنَّ كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر! وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله فوجب أنْ يكون كافراً**) انتهى كلامه رحمه الله .

وأهل السنة والجماعة – كما تقدم – يفرقون بين **إرتكاب المعصية والكبيرة** – غير المُكفرة – وبين **تغيير حُكمها من حرام إلي حلال** ..

فمجرد **إرتكاب المعصية والكبيرة** – غير المُكفرة – هو من جنس الذنوب والمعاصي التي لا تخرج صاحبها من الإسلام بل يكون بإرتكابه لها مستحقاً للعقوبة ..

أما **تغيير حكمها من حرام إلي حلال** فهو من **الحُكم بغير ما أنزل الله** الذي يخرج من الملة الإسلامية ويناقض التوحيد ، ومن التشريع مع الله عز وجل لأن **الأحكام** ومنها **الحلال والحرام** هي من **التشريع** الذي هو حق خاص لله جل وعلا – كما تقدم – .

والله تبارك وتعالي **حكم** علي أي معصية بأنها **حرام** ، فمن غيّر **حكم** المعصية إلي **حلال** – بالنطق أو بالكتابة لأن (الكِتاب كالخِطاب) كما في القاعدة الفقهية – فقد **حكم بغير ما أنزل الله** ونازع الله حق التشريع لعباده حتي وإن لم يرتكب تلك المعصية ..

وليس بمجرد إرتكابه للمعصية يكون قد **حكم بغير ما أنزل الله !!** كما تقول الخوارج ، إذ قد يرتكب المعصية وهو **مُقرّ بحُرمتها** ، أي قد يرتكبها وهو **يحكم فيها بحكم الله** .

لذلك فأهل السنة والجماعة لا يكفرون مرتكب المعصية والكبيرة – غير المكفرة – بمجرد إرتكابها إلا إذا **إستحلَّها** ، أي غيّر حكمها من حرام إلي حلال . فتأمل!! .

- **والمرجئة الجهمية** – أدعياء السلفية المزعومة في هذا الزمان !! – قالوا إن **الحكم بغير ما أنزل الله** – بكل صوره – هو في الأصل كفرٌ دون كفر ، وكفرٌ لا ينقل عن الملة – أي كفر أصغر – إلا أن يصاحبه **الجحود القلبي** أو **الإستحلال** أو **التفضيل** أو **الإستهانة بحكم الله** فيصبح كفراً أكبر .

ففرشوا – بقولهم هذا – الطريق بالورود ، لكل **مرتدٍ هالك وطاغوت** ، يريد أن ينازع الله جل وعلا حق التشريع لعباده ، ويريد أن يشيع الفساد في بلاده ، فشرَّعوا القوانين الشركية الوضعية ، وأستجلبوا قوانين الغرب الكفرية ، و**حكموا** بها بين البرية ، و**ألزموا** الناس بدين الديمقراطية ، و**تحاكموا** إلي هيئة الأمم الطاغوتية ، و**أطاعوا** ميثاقها وميثاق جامعة الدول العربية ..

ومع هذا كله تجد **الجهمية** يقولون : ((إن هؤلاء مسلمون !! ، إلا أن يصاحب فعلهم هذا جحود في قلوبهم أو إستحلال أيها " **التكفيريون** " ، وإنا لهم لمبايعون ، وبالبيعة لهم مستمسكون)) ، ومع هذا يزعمون السلفية !! ويدَّعون الإنتساب إلي منهج خير البرية !!! ...

فإلي الله نشكو هذي الرزية ..

- وهدي الله **أهل السنة والجماعة** لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، فهم يقولون بقول الله جل وعلا وقول رسوله عليه الصلاة والسلام علي فهم صحابته الكرام ..

فمسألة **الحكم بغير ما أنزل الله** لها صورتان رئيستان : –

(١) الصورة الشركية التشريعية : –

وهي صورة الحاكم الذي ينتسب للإسلام ويُقر بأحكامه ويقول بأنها الأفضل والأحسن والأكمل وأن تحكيم شريعة الإسلام واجب وأن تحكيم القوانين التي من وضع البشر مُحرم ، ومع هذا كله يأتي بالأحكام والقوانين والتشريعات التي **تُحل الحرام** أو **تُحرم الحلال** أو **تُسقط الحدود الشرعية** ويحكم بها في الناس وبينهم من غير حياء من الله ولا من عباده .

فهذه الصورة هي من الشرك البواح والكفر الصراح **بالإجماع** – كما تقدم – وما خالف في ذلك إلا المرجئة الجهمية أدعياء السلفية المزعومة !! .

وهي مثل القوانين الوضعية المفروضة علي المسلمين اليوم من قِبل الطواغيت الحاكمين ، والحكم بهذه القوانين يتضمن : –

- **التشريع** لمثل هذه القوانين ، وهذا منازعه لله جل وعلا في ما أختص به من التشريع وطُغيان علي ربوبيته .
- **طاعة والتزام هذا التشريع** ، فالحاكم ونوابه ووزراؤه وقُضاته وجنوده والأحزاب المشاركة له في الحُكم يلتزمون إلتزاماً تاماً بهذا التشريع ولا يخرجون عن نظمه ورسمه ، ومن خالفه منهم تعرض للمُساءلة والعقوبة . وهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة .
- **التحاكم لهذا التشريع** ، فالحاكم ونوابه ووزراؤه والأحزاب المشاركة له في الحُكم ، إذا اختلفوا في أمر ما وتنازعوا فيه ، ردوا هذا التنازع إلي هذا التشريع وتحاكموا إليه ، وهذا شرك بالله العظيم مُخرج عن دين الإسلام .
- **الحُكم بهذا التشريع** في الناس وإلزامهم به ومعاقبة من خالفه وخرج عليه ، وهذا كفرٌ بواح وشركٌ صُراح لا يعمي عنه إلا خفافيش البصائر الذين لا يرون في نهار شمس الحق الساطعة .
- **الإعراض والتولي بالكلية** عن بعض الفرائض والواجبات التي في الشريعة الإسلامية ، كالإعراض عن وجوب تحكيم شرع الله وجهاد الكفار وضرب الجزية عليهم والتزام تحريم الحرام أو تحليل الحلال وتطبيق الحدود الشرعية ، فهذا كُفر الإعراض والتولي . قال تعالي : (**وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ**) (**الأحقاف ٣**) .

وهذا معلوم وواضح لجميع من عرف حال هؤلاء الطواغيت وحال هذه القوانين الشركية .

- ولا ينفعه الإقرار بأن الشريعة الإسلامية هي الأفضل والأحسن وأن تحكيمها واجب بدون أن ينقاد لذلك بتطبيقه علي أرض الواقع ، لأن **الإنقياد** من شروط لا إله إلا الله .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في فتاواه (١٨٩/٦) : (**فلعلك أن تقول لو قال من حكَّم القانون** (**أنا اعتقد أنه باطل!**) ، **فهذا لا أثر له** ، **بل هو عزل للشرع كما لو قال الواحد** : (**أنا أعبد الأوثان وأعتقد أنها باطل**) .) انتهى كلامه رحمه الله .

وكفر هذا مثل كفر كفار قريش الذين أقروا أن الله هو الأفضل والأحسن وأنه هو الخالق الرازق المدبر مالك الملك ، ومع ذلك كله صرفوا العبادات لغيره ولم ينقادوا لإقرارهم السابق. لذلك لم ينفعهم إقرارهم بالربوبية لله جل وعلا .

وكفره أيضاً مثل كفر **أبو طالب** عم النبي عليه الصلاة والسلام الذي أقر بأن شريعة الإسلام هي الأفضل والأحسن ، وأظهر رغبته في أن يكون منقاداً إليها ، حين قال :

ولقد علمت أن دين مُحمدٍ من خير أديان البرية دينا

ولولا المعابةُ وخوف مسبةٍ لرأيتني سمحاً بذاك مُبينا

ومع هذا كله لم ينقاد لذلك الإقرار بتطبيقه علي أرض الواقع ، فلم ينفعه ذلك الإقرار .

لذلك فإن مُرتكب الكفر والشرك لا ينفعه إقرار بأن الشريعة الإسلامية هي الأفضل والأحسن والأكمل . إذ لو كان صادقاً في ذلك لانقاد لها .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في آخر رسالته (كشف الشبهات) : **(لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل؛ فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، كفرعون وإبليس وأمثالهما ..**

وهذا يغلط فيه كثير من الناس. يقولون : هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ولكنا لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ، أو غير ذلك من الأعذار .. ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار ، كما قال تعالى (اشْتَرَوْا بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً) وغير ذلك من الآيات كقوله (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ).

فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) انتهى كلامه رحمه الله .

- إما إن تعذر بإرتكابه لهذا الكفر والشرك **بالخوف** من الكفار أن يؤذوه أو يقاتلوه ، فهذا **ناقض مستقل بذاته** وهو طاعة الكفار – من غير إكراه معتبر – في إرتكاب الكفر والشرك .

قال تعالي : **(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨))** (محمد) .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في رسالته " الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك " معلقاً علي الآيات أعلاه : **(فذكر تعالى عن المرتدين على أدبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدّوا على علم، ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة، وغرَّهم الشيطان بتسويله، وتزيين ما ارتكبوا من الردة، وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، غرهم الشيطان، وأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة، وأنهم بمعرفة الحق ومحبته والشهادة به لا يضرهم ما فعلوه، ونسوا أن كثيراً من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به، ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا، وخوفاً على الأنفس والأموال، والمآكل والرئاسات.**

ثم قال تعالى: (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر) فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة، وتسويل الشيطان، وإملائه لهم، هو قولهم للذين كرهوا ما نزَّل الله: (سنطيعكم في بعض الأمر) فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما أنزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافراً، وإن لم يفعل ما وعدهم به، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات، وأظهر أنهم على هدى، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم، وأن الصواب في مسالمتهم، والدخول في دينهم الباطل؟! فهؤلاء أولى بالردَّة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض

الأمر، ثم أخبر عن حالهم الفظيع عند الموت، ثم قال: (ذلك) الأمر الفظيع عند الوفاة (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم).) انتهى كلامه رحمه الله .

▪ وليس من موانع التكفير الشرعية **الخوف من الكفار** ، لأن الله لم يعذر مرتكب الكفر متعمداً إلا أن يكون مكرهاً إكراهاً معتبراً ، فلا يُقبل هذا العذر ممن تعذر به من الطواغيت والمرتدين في إرتكاب الكفر والشرك خوفاً علي النفس والمال والمنصب ، لأن حفظ الدين من الضياع بالكفر والشرك مقدم علي حفظ غيره من الضروريات .

قال تعالي : (**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) (**البقرة ٢١٧**) . **الْفِتْنَةُ** : هي الشرك والكفر ، أي أن مفسدة ضياع الدين بالكفر أعظم من مفسدة ضياع النفس بالقتل .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في رسالته " الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك " معلقاً علي الآيات أعلاه : (**فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمة، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرَّهم أنه مرتد، فإن مات على ردته بعد أن قاتله المشركون فإن من أهل النار الخالدين فيها، فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟! فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له، عرفت أن الذين يأتون إليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال، أنهم أولى بعدم العذر، وأنهم كفار مرتدون.**) انتهى كلامه رحمه الله .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في آخر رسالته " نواقض الإسلام العشرة " : (**ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، إلا المكره**) .

وسيأتي بإذن الله الرد في رسائل أخري علي أمثال هذه الشبه الواهية التي يُرقِّع بها المرجئة الجهمية أدعياء السلفية المزعومة ، ثوب الطواغيت المهترئ بالكفر والشرك والطغيان .

(٢) صورة الظُلم والجور : –

وهي صورة الحاكم الذي يحكم بشرع الله جل وعلا في جميع الوقائع والقضايا والحوادث وهو **مرجعه** في جميع ما يطرأ عليه ، ولا يحكم بشرع سواه ولا يُلزم الناس بغير الشريعة الإسلامية ولا يتحاكم لغيرها ولا يطيع شرعاً غير شرع الله . أي يصرف جميع هذه العبادات لله وحده و لا يشرك معه غيره ولا ينازع الله حق التشريع لعباده . لكنه يحصل منه بعض **التقصير** في عبادته لله كما يحصل لكل المسلمين – إذ الكمال لله وحده – فيظلم الناس في بعض الوقائع ويجور عليهم في بعض القضايا ويعطي الظالم حق المظلوم إما لهويً في نفسه أو لرشوة أو مراعاة لقرابة أو يترك تطبيق حكم الله في هذه الوقائع ، وهو مع هذا كله مُعترف بأنه مذنب عاصي مُستحق للعقوبة ..

فهذا لم يصرف عبادة لغير الله ولم يُقارف شيئاً من الكفر والشرك ، ولكن ما فعله من الظلم والجور للرعية هو من جنس الذنوب والمعاصي غير المُكفرة والتي لا يكفر مرتكبها بمُجرد فعلها ، بل لا يكفر إلا إذا **جحد** حرمتها أو **استحل** فعلها أو **اعتقد** جوازها أو **استهان بحكم الله فيها** ، ولم يُكفره بمجرد إرتكابها إلا **الخوارج** – كما تقدم معنا – .

- وهذا كان حال بعض حكام بني أمية الذين عاصرهم الصحابة ، لذلك كفرهم **الخوارج** بمجرد إرتكاب هذه الذنوب مستدلين ببعض متشابه القرآن مثل قوله تعالي : **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** (**المائدة ٤٤**) . كما ذكر ذلك أبو حيان الأندلسي ونقلناه عنه فيما تقدم

فرد عليهم الصحابة والتابعين استدلالهم بهذه الآية في تكفير من هذا حاله من الحُكام ، ووردت عنهم آثار في ذلك ذكرها المفسرون عند كلامهم عن هذه الآية مثل : **(ليس بالكفر الذي تذهبون إليه إنه كفر دون كفر)** و **(من جحد حكم الله فهو كافر ومن لم يجحد فهو ظالم فاسق)** و **(هي به كفر ، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله)** و **(هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق)** وغيرها من الآثار .

فمثل هذه الآثار – إن صحت – ليست تفسيراً للآية ، ولكن هي في الرد علي **الخوارج** عند استدلالهم بهذه الآية . فتأمل !! .

فالآية نزلت في **أحبار اليهود** عندما شرَّعوا مع الله وغيَّروا حد الزنا من الرجم إلي التحميم والجلد ، وحكموا به اليهود . وهذا كفر أكبر **بالإجماع** – كما تقدم – وطغيان علي ما أختص به الرحمن .

فالآية – في الأصل – تتحدث عن الكفر الأكبر أي عن **الصورة الشركية** ، ولكن قد تدخل فيها **صورة الظلم والجور** لأن الآية عامة في ألفاظها ، فيصبح ما فعله الحاكم في صورة الظلم هذه ليس كفراً أكبر – لأنه لم يشرع مع الله ويحكم بهذا التشريع كما فعل أحبار اليهود – ولكن فعله **كُفْرٌ أصغر وكفرٌ دون كفر** .

- وصوره الظلم والجور هذه – كما بيَّنا – تكون من باب **التقصير** الذي يتوب منه صاحبه ويعترف بخطئه ، والتقصير يحصل في حق الإنسان الملتزم بدين الله في **بعض** المرات والحوادث والوقائع والقضايا ، ويكون من غير تشريع شرع جديد ولكن يكون بترك تطبيق حكم الله في تلك الوقائع أو الظلم فيها .

لذلك يُعبر العلماء – سلفاً وخلفاً – عن **صورة الظلم والجور** بأنه الحكم بغير ما أنزل الله في (القضية المعينة) أو (الواقعة) أو (الحادثة) ، ويفرقون بين هذه الصورة والصورة الشركية التي تتضمن التشريع المُصادم لشرع الله ، وإليك بعض ما ذكروه : –

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي (٣٨٨/٣٥) : **(فإن الحاكم إذا كان ديِّناً لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار، وإن كان عالماً لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدل ولا علم كان أولى أن يكون من أهل النار، وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص . وأما إذا حكم حكماً عاماً في دين المسلمين، فجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ونهى**

عما أمر الله به ورسوله، وأمر بما نهى الله عنه ورسوله فهذا لون آخر يحكم فيه رب العالمين وإله المرسلين مالك يوم الدين .) انتهى كلامه رحمه الله .

فكلام شيخ الإسلام رحمه الله واضح في التفريق بين **صورة الظلم والجور** و**الصورة الشركية** .

قال ابن القيم في " مدارج السالكين " (٣٣٧/١) : (**والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم ، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصياناً مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه بأنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطئ له حكم المخطئين**) انتهى كلامه رحمه الله .

وكلام ابن القيم رحمه الله هنا واضح في أن كلامه عن **صورة الظلم والجور** .

وقال رحمه الله في " كتاب الصلاة " (**وإذا حكم بغير ما أنزل الله، أو فعل ما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كفراً، وهو ملتزم للإسلام وشرائعه فقد قام به كفر وإسلام**) .

فعبارة **(وهو ملتزم للإسلام وشرائعه)** دلت علي أنه ملتزم بشرع الله ولم يأتي بشرع غيره ليحكم به في الناس ، أي أنه يتحدث عن **صورة الظلم والجور** التي هي كفر أصغر كما بيَّن ذلك بقوله رحمه الله **(فقد قام به كفر وإسلام)** .

قال ابن أبي العز الحنفي شارح العقيدة الطحاوية في " شرحه للطحاوية " صفحة (٣٢٣-٣٢٤) : (**وهنا أمر يجب التفطن له وهو : أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً إما مجازياً وإما كفراً أصغر على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه أنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً أو كفراً أصغر**) انتهى كلامه رحمه الله .

وكلامه رحمه الله هنا في غاية الوضوح عن حالات الحاكم في **صورة الظلم والجور** .

قال الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ في رسالته " تحكيم القوانين " **(وأما القسم الثاني من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله وهو الذي لا يخرج من الملة فقد تقدم تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقول الله عز وجل: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، قد شمل ذلك القسم وذلك في قوله رضي الله عنه في الآية: "كفر دون كفر"، وقوله أيضاً: "ليس بالكفر الذي يذهبون إليه"، وذلك أن تحمله شهوته على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله هو الحق واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى، وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر...)**

وقال أيضاً في فتاواه (٢٨٠/١٢) : (**وأما الذي قيل فيه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حكم الله هو الحق فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها، أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن**

قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل، ففرق بين المقرر والمثبت والمرجع، جعلوه هو المرجع فهذا كفر ناقل عن الملة) .

قال الشيخ الفوزان في تعليقه علي كلام الشيخ السابق في كتابه " عقيدة التوحيد " صفحة (١٢٢) : **(ففرق رحمه الله بين الحكم الجزئي الذي لا يتكرر ، وبين الحكم العام الذي هو المرجع في جميع الأحكام أو غالبها ، وقرر أن هذا الكفر ناقل عن الملة مُطلقاً) .**

وكلامهم واضح في التفريق بين الصورتين .

وللشيخ الفوزان كلام بنفس المعني في نفس المرجع السابق صفحة (١١٩) : **(قال الله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، في هذه الآية الكريمة أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر، وهذا الكفر تارة يكون كفراً أكبر ينقل عن الملة، وتارة يكون كفراً أصغر لا يخرج عن الملة، وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه، أو استهان بحكم الله واعتقد أن غيره من القوانين والنظم الوضعية أحسن منه وأنه لا يصلح لهذا الزمان وأراد بالحكم بغير ما أنزل الله استرضاء الكفار والمنافقين فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً أصغر، وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور، وهذا في الحكم في القضية الخاصة ، وأما الحكم في القضايا العامة فإنه يختلف** ...) إنتهي .

وكلامه واضح في التفريق بين **صوره الظلم والجور (الواقعة – القضية الخاصة)** و**الصورة الشركية (القضايا العامة)** .

وبهذا التفريق يتضح الفرق بين منهج **أهل السنة والجماعة** وبين منهج **الخوارج** الذين غلوا وأفرطوا ومنهج **المرجئة الجهمية** وأذنابهم أدعياء السلفية المزعومة الموجودين اليوم الذين تساهلوا وفرطوا ..

ومن الله نرجو التوفيق والسداد والثبات علي **التوحيد** حتي الممات .

▪ توحيد الأسماء والصفات : -

ومعنى توحيد الأسماء والصفات هو إثبات ما أثبته الله لنفسه في القرآن والسنة من أسماء وصفات ، فنؤمن بها كما جاءت في القرآن أو السنة من غير تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل ولا نثبت اسماً ولا صفة لله جل وعلا لم تثبت في القران أو السنة .

قال تعالي : (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) (**الشوري ١١**) .

فأهل التشبيه الذين يُشبهون أسماء الله جل وعلا وصفاته بأسماء وصفات المخلوقين ، يُرد عليهم بقوله تعالي : (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) ، والذين يُعطلونها وينفونها ، يُرد عليهم بقوله تعالي : (**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) .

فالمنفرد بالكمال في الأسماء والصفات هو الله جل وعلا وحده لا شريك الله ، والمخلوق إذ أطلقت عليه صفه أو أسم من أسماء الله ، فإن له جزء بسيط من ذلك الإسم أو الصفة أما كمالها فلله وحده جل وعلا .

مثل قولنا (فلان كريم أو رحيم أو رؤوف أو حكيم أو عزيز) ، فليس معني ذلك أنه كريم ككرم الله أو رحيم كرحمة الله أو ...

بل أن المخلوق له جزء يسير جداً من تلك الصفات لذلك تطلق عليه نكره غير مُعرفه بالألف واللام ، أما الله جل وعلا فله الكمال المطلق في تلك الصفات لذلك تُطلق عليه مُعرفة بالألف واللام .

قال تعالي : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)) (الحشر) .

- وأسماء الله جل وعلا مما يُتقرب به إلي الله عند دُعائه ، قال تعالي : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف ١٨٠) .

وكفار قريش كانوا يؤمنون ببعض الأسماء والصفات ، كما في قوله تعالي: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) (الزخرف ٩) .

ولكن انكروا بعضها وكفروا به مثل اسم **الرحمن** ..

قال تعالى : (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) (الرعد ٣٠) .

وقال تعالي : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) (الفرقان ٦٠) .

وأنكر كفار قريش دُعاء الله جل وعلا باسم **الرحمن** ، فأنزل الله : (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) (الإسراء ١١٠) .

- ومن أسماءه وصفاته التي إختص بها جل جلاله – فلا ينازعه فيه إلا طاغوت كافر يحكم الناس بغير شرع الله – اسم **الحكم** ، فهو الذي يحكم في خلقه وبين عباده بما يشاء وكيف يشاء .

فعن يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده شريح عن أبيه هانيء : " أنه لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إن الله تعالى هو الحكم وإليه الحكم فلم تكنى أبا الحكم ؟) ... " رواه أبو داؤود .

- وإنكار اسم واحد من أسمائه تعالى أو صفة واحدة من صفاته الثابتة بالقرآن أو السنة ، كفر أكبر مُخرج من ملة الإسلام ، لأنه إنكار لما أثبته الله ، قال تعالي : (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ) (العنكبوت ٤٧) .

و**الجحد** هو الإنكار باللسان وليس بالقلب ، كما قال الله جل وعلا عن فرعون : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (النمل ١٤) .

▪ معني أن محمداً رسول الله : –

معني أن محمداً رسول الله هو إعتقاد أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو عبد الله ورسوله وخاتم أنبيائه ورسله ، أرسله الله جل وعلا إلى كافة الخلق إنسهم وجنهم بالتوحيد وشرائع الإسلام ، وأنه خير الأنبياء والمُرسلين والخلق أجمعين . ولا يصح إسلام المرء حتي ولو وحد الله وكفر بما يُعبد من دونه ، بدون الإيمان بأن محمداً رسول الله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون) " رواه مُسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : " عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) " رواه مسلم .

والإيمان به عليه الصلاة والسلام يتضمن : –

١/ **إتباعه وطاعته فيما أمر به** – قدر المستطاع – **واجتناب جميع ما نهي عنه .**

قال تعالي : **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)** (الحشر ٧)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : " أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) " رواه مسلم .

٢/ تصديقه في جميع ما اخبر به .

قال تعالى : **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)) (النجم) .**

٣/ ألّا نعبد الله إلا بما شرعه على لسان نبينا عليه الصلاة والسلام .

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) " متفق عليه .

٤/ **الإقتداء به** – حسب الإمكان – **في جميع أحواله .**

قال تعالى : **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب ٢١) .**

٥/ محبته أكثر من النفس والوالد والولد والناس أجمعين .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال " قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) " **متفق عليه .**

هذا وقد تم المقصود من هذه الرسالة بحمد الله وتوفيقه .

فما كان من توفيق فمن الله

وما كان من خطأ فمن عند نفسي الأمارة بالسوء

والله ورسوله بريئان منه

والحمد لله رب العالمين .

أبو براءة السيف

2009/1/14

سلسلة : -

الرِماح السَّمهرية

على الطواغيت والجهمية (٢)

كتبها : –

أبو براءة السيف

المحتويات

الموضوع	الصفحة
١/ مقدمة	٣
٢/ شبهة : أثر ابن عباس (كفر دون كفر)	١١
٣/ شبهة : الظلم والفسق ليست بمعني الكُفر الأكبر.....	٢٥

٤/ شبهة : التقديم معناه التفضيل و(يقدمونه معناها يُفضلونه) ٢٧

٥/ شبهات في مفهوم الطاغوت والتحاكم له ٣٢

٦/ شبهة : الحكم بغير شرع الله ليس كُفراً أكبر إلا بالجحود أو الإستحلال ٤٠

٧/ شبهة : التشريع لا يكون كُفراً أكبر إلا بنسبته إلي الله ٤٣

٨/ شبهة : أهل البِدع أيضاً مُشرِّعين فهل كفروا ؟! ٤٧

٩/ شبهة : النجاشي لم يحكم بشرع الله فهل كفر ؟! ٤٩

١٠/ شبهة : عمر بن الخطاب لم يطبق حد السرقة عام الرمادة فهل كفر ؟! ٥٢

١١/ شبهة : يجوز التحاكم للطاغوت فيما وافق الشرع إذا لم توجد محاكم شرعية إسلامية !..... ٥٦

١٢/ شبهة : إذا كفَّرتم الحاكم يلزمكم تكفير المُجتمع كله ٥٩

١٣/ شبهة : أنتم تكفيريون وخوارج ٦٣

١٤/ خاتمة ٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

كشف شبهات المجادلين عن طواغيت الحُكم ومشرِّعي القوانين المُحادَّة لشرع رب العالمين

(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا)

مُقدمة :

الحمد لله مُعز التوحيد بنصره ، ومُذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، قاهر الجبارين ، وهازم الأحزاب المشركين ، وناصر عباده الموحدين إلي يوم الجمع والدين ..
والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين ..

أما بعد ..

فإن الله جل وعلا خلق الجن والإنس لعبادته واتباع شريعته ، ولم يتركهم هملاً بل أرسل إليهم رسلاً – من عند نوح حتي محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – يدعونهم لعبادة الله وحده لا شريك له وخلع كل ما يُعبد من دونه من الأنداد والطواغيت ، ويدعونهم لاتباع شِريعة الله وحده ، وأن ينقادوا لأمره ويذعنوا لحكمه ، وينبذوا عبادة الأوثان وشرائع الطاغوت وأحكام الجاهلية وعادات الآباء والأجداد المصادمة لدين رب الأرض والسماوات ..

قال تعالي : **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** (الذاريات ٥٦) ..
وقال تعالي : **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت)** (النحل ٣٦) ..
وقال تعالي : **(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)** (الشوري ١٣).
وقال تعالي : **(اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)** (الأعراف ٣) ..
وقال تعالي : **(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)** (الجاثية ١٨) ..
وقال تعالي : **(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)** (المائدة ٥٠) ..
وقال تعالي : **(وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)** وفي قراءة ابن عامر **(وَلَا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)** (الكهف ٢٦)
وقال تعالي : **(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** (يوسف ٤٠)

فانقسم الناس حسب حالهم مع هؤلاء الرسل وما جاءوا به من الدين القويم إلي فريقين ..

قال تعالي : **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** (التغابن ٢) ..
وقال تعالي : **(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** (البقرة ٢٥٧) ..

فريق صدقوا الرسل وآمنوا بهم وبما جاءوا به من الدين القويم ، واتبعوهم ونصروهم ودافعوا عنهم وعن دينهم بالقلب واللسان والمال والسِنان والأبدان ، وبذلوا في سبيل دينهم غالي الأثمان ، وضحوا من أجل ذلك بالأنفس والأزواج والأباء والأبناء والإخوان ، وجاهدوا وصابروا ورابطوا وقاتلوا وقَتلوا وقُتلوا راضين صابرين مُحتسبين صادقين يبتغون مرضاة رب العالمين ..

ومنهم من لم يُقتل .. لكنهم علي درب من قتلوا في سبيل ربهم سائرين ، ولآثارهم مُقتفين ، ولدورهم في لقاء ربهم مُنتظرين ، يرجون رحمة الواحد الدَّيان ، ويطلبون أعالي الجنان ، ويَفرون من حر النيران .. أولئك هم أهل الحق والإيمان ، أولياء الله وحزب الرحمن ..

قال تعالي : **(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨))** وفي قراءة حفص عن عاصم **(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ) (آل عمران)** .

وقال تعالي : **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)) (آل عمران)**

وقال تعالي : **(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب ٢٣)** ..

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ) رواه مُسلم .

وفريقٌ كذبوا الرسلَ وكفروا بما جاءوا به من الحق المُبين ، وآذوهم ومن آمن معهم وضيقوا عليهم وسجنوهم وعذبوهم وطاردوهم وشرَّدوهم وقتَّلوهم ، وتمسكوا بما هم فيه من البُطلان وما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم من عبادة الشيطان والأوثان والصُلبان والنيران ، وأتباع شرائع الطاغوت والإحتكام للكُهان ، وطاعة من اتخذوهم أرباباً من دون الله من الملوك والأحبار والرهبان ، فيما شرعوه لهم من الأديان ، من التحليل والتحريم والأحكام التي لم يأذن بها الرحمن .. أولئك هم أهل الشرك والكُفران ، أولياء الطاغوت وحزب الشيطان ..

قال تعالي : **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ**

أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠)) (البقرة) ..

وقال تعالي : **(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨)) (ص) ..**

وقال تعالي : **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)** (آل عمران ٦٤) .

وشاء الله بحكمته وعدله أن يقع الصراع والتدافع بين الحق والباطل .. بين حزب الله أهل الإيمان وبين حزب الطاغوت أهل الشرك والكُفران ، فأهل الباطل لا يطيب لهم باطلهم إلا بإبعاد أهل الحق عن أرضهم بالطرد والتشريد أوالحبس والتعذيب والتنكيل أوالتقتيل ..
أو بإبعاد أهل الحق عن الحق الذي معهم وذلك بحرفهم عن عقيدتهم ودينهم الذي هو مصدر قوتهم ، وإعادتهم إلي فلك الباطل ومصيدة الشيطان ..

قال الله تعالي علي لسان أصحاب الكهف المؤمنين وهم يحكون حالهم مع قومهم أهل الباطل المُشركين : **(إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا)** (الكهف ٢٠) .
أي أن أهل الباطل إن قَدروا عليهم إما أن يقتلوهم بالرجم أو يُعيدوهم إلي الكفر ، والعودة إلي الكفر هي الخُسران المُبين .. أما الرجمُ فشهادة في سبيل رب العالمين .

ومثل ذلك قوله تعالي حاكياً عن قوم شعيب عليه الصلاة والسلام : **(قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ)** (الأعراف ٨٨) ..

وقال تعالي : **(قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)** (هود ٩١) ..

فهذا حال جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم المُشركين ، قال تعالي : **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ)** (إبراهيم ١٣) ..

وقال تعالي عن حال نبي الله موسي عليه الصلاة والسلام مع الطاغوت فرعون : **(قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ**

وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)) (الشعراء) .

وقال تعالي مخبراً عن مخاطبة الكفرة قوم نوح لنبي الله نوح عليه الصلاة والسلام : (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) (الشعراء ١١٦) .

وقال تعالي مخبراً عن حال كفرة قريش مع سيد الأولين والآخرين محمد عليه الصلاة والسلام : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال٣٠) .
لِيُثْبِتُوكَ : أي ليحبسوك ويوثقوك بالقيود كما ذكر المفسرون .

لذلك أمر الله عباده المؤمنين بجهاد الطواغيت وعبيدهم وأنصارهم من الكفرة والمشركين .. تارةً باللسان والحجة والبرهان ، وتارةً بالنفس والمال والسِنان ، حتي لا يكون شركٌ ويكون الدين كله للواحد الديَّان ، وحتي يُعبد الله وحده ولا يُعبد سواه شيئ من الأنداد والأوثان ، وحتي يطاع الله وحده ولا يُطاع غيره من أرباب الشرك والطُغيان ، وحتي يحكم الله وحده ولا يحكم معه ولا من دونه طاغوت ولا شيطان ..
فيصير الناس كلهم إما عبيداً لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، أو خاضعين مُنقادين لأحكام هذا الدين ، مقهورين صاغرين تحت قبضة عباد الله الموحدين ..

قال تعالي : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)) (الحج) .

وقال تعالي : (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (النساء ٧٦) .

وقال تعالي : (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (برآءة ٥) ..

وقال تعالي : (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)) (برآءة) ..

وقال تعالي : **(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)** (برآءة ٢٩) ..

وقال تعالي : **(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٣٩)) (الأنفال)** .
والفتنة هنا الشرك .. كما ذكره الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما .
قال الطبري في تفسير هذه الآيات الأخيرة : **(يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : وإن يعد هؤلاء لحربك ، فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم ، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يُعبد إلاّ الله وحده لا شريك له ، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة . (ويكُونَ الدّينُ كُلّهُ لله) يقول : حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره .)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال تعالي : **(فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)** (الفرقان ٥٢) .
أي جاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً كما ذكره الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) متفق عليه .

وعَنْ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ)) رواه النسائي وأحمد وقال ابن حجر في فتح الباري (١٠/٥٤٦) (صححه ابن حبان) . وزاد في رواية عند أحمد (وأيديكم) .

وأهل الباطل إلي يومنا هذا ما فتئوا يناصرون ويدافعون عن باطلهم وعن طواغيتهم ومعبوداتهم بكل ما أوتوا من قوة وبكل ما تيسر لهم من الطرق والسُبل ، خاصةً إذا كان هؤلاء الطواغيت ممن خلع علي نفسه خِلعة الإسلام وتظاهر ببعض شرائعه ، وزعم الإنتساب إليه ..
فرغم أن هؤلاء الطواغيت نازعوا الله جل وعلا فيما أختص به من خصائص الربوبية أو الألوهية وارتكبوا من النواقض ما يرمي بهم وراء حائط الإسلام ، ويُلقيهم علي أم رأسهم من أعلي مكان الدين ، لكن عبيدهم وأنصارهم ما كلوا ولا ملوا في الدفاع عنهم وعن شركهم وكفرهم وطغيانهم وباطلهم ، فيركبون لذلك الصِّعاب ويحتملون المشاق والأهوال ويبذلون الأوقات والأنفس والأموال في سبيل هذا الغي والضلال ، ويحسبون أنهم علي شيئ وأنهم يُحسنون صُنعا .. ألا ساء ما يفعلون .

قال تعالي : **(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦))** (الكهف) ..

وقال تعالي : **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢))** (البقرة) .

وليس بمستغربٍ من أهل الكفر والشرك نصرتهم وجدالهم عن طواغيتهم وأندادهم ، فهولاء أربابهم ومعبوداتهم الباطلة التي إتخذوها لأنفسهم أرباباً وآلهة مع الله ..
ولكن العجب كل العجب ممن ينتسب للإسلام وأهله ، بل وينتسب لأهل العلم الشريف الموروث عن النبي محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ممن ينافح ويجادل عن هؤلاء الطواغيت وعبيدهم وأنصارهم المُشركين ، بحجة أنهم لم يتلبسوا بشرك ولا كفر وإنما تلبسوا ببعض الكبائر والذنوب التي لا تُخرجهم عن دائرة الدين .. !
فرغم ظهور حال هؤلاء الطواغيت وظهور شركهم وكفرهم في البلاد وبين العباد حتي عم وطم ، إلا أنك تجدهم يصبغون عليهم – من حيث يدرون أو لا يدرون – الصبغة الشرعية ، فيركبون لذلك كل صعب وشاق ويلوون أعناق النصوص ويحملونها ما لا تحتمل حتي وصل بهم الأمر لتبني مذهب غُلاة المُرجئة والجهمية لكي يُرقعوا للذين هم شر البريَّة – من الطواغيت وعبيدهم وأنصارهم – ثوبهم المُهترئ بالكفر والشرك والطُغيان علي ما اختص به الرحمن ..

ولم يدرِ هؤلاء المساكين أنهم بجدالهم عن هؤلاء الطواغيت المُشركين يُصدِّعون بُنيان توحيدهم ، ويجعلون إسلامهم في مهب ريحٍ عاصف ، ويصيِّرون دينهم أرق من الثوب الرقيق ..

قال تعالي : **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨))** (الأعراف) .

وقال تعالي : **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠))** (البقرة) .

وعن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ : (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ، قَالَ نَعَمْ ، فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ، قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ ، قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ ، قَالَ قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ ، فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ، قَالَ نَعَمْ دُعَاةٌ

عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ ، تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ، فَقُلْتُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ، قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ) متفق عليه .

وأنا حين أتكلم في هذه الرسالة عن الطواغيت لا أعني طواغيت المتصوفة أصحاب القبور والمشاهد والأضرحة في هذا الزمان الذين يُنادَون من دون الله ويُستغاث بهم عند الشدائد ويُلجأ إليهم في المُلمات ، فيُطاف بقبورهم ويذبح لهم وينذر لهم ، أو من يدَّعون الولاية والصلاح في الدين فيصرف لهم في حياتهم من أنواع العبادة ما لا يُصرف إلا لرب العالمين .. فإن هؤلاء أمرهم قد وضح وبان لعامة المُسلمين وماهم فيه من الضلالات والجهالات والخُرافات والشركيات والكُفريات والبدع والدجل الذي لا يخفي إلا علي مطموسي البصائر ، فهم أجهل من أن يُتفرغ للرد علي شبههم الواهية .. فالعامي من الموحدين يستطيع – بتوفيق الله – أن يغلب ألفاً من عُلمائهم كما ذكر ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله والذي رد غالب شبههم في كتاباته ، فلتراجع لمن أراد الإستزادة في هذا الباب ..

لكن أعني طواغيت الحُكم الجاثمين علي صدور المسلمين – إلا من رحم الله – في كُل مكان من أرض أُمة الإسلام ، هؤلاء الذين نازعوا الله حق التشريع لعباده والتحليل لهم والتحريم عليهم ، وحكموهم بقوانين وأحكام اليهود والنصاري المُلحدين ..

هؤلاء الذين نبذوا شريعة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ونصبوا أنفسهم أرباباً مُشرِّعين يُحلون ويحرمون ، يُجيزون ويمنعون ، يُثيبون ويُعاقبون ، يُلزمون من تحت قبضتهم من المُسلمين بالإنصياع لنفايات أفكارهم وزبالات أذهانهم ورجيع ما رضعوه من أثداء اليهود والنصاري العلمانيين المُشركين ، ففرضوا علي المسلمين دساتيرَ ونُظُم ولوائح وقوانين ما أنزل الله بها من سُلطان ، مُصادمةً ومُحادةً لشِرعة الواحد الدَّيان ، وعاقبوا كُل من خالفها وخرج عليها ..

وبعد هذا كُله يزعمون أنهم يُريدون الهِداية والصلاح والرشاد والسَّداد للبلاد والعباد ، كما قال سلفهم الأول فِرعون عن نفسه : **(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)** (غافر ٢٩) !! ..

فهؤلاء إلتبس حالهم علي كثير من المسلمين اليوم لكثرة ما يُدافع به عنهم من الشُبهات ، ولكثرة ما يُرمي به أهل الحق الموحدين الذين يجاهدون هؤلاء الطواغيت المُشركين – بالنفس والمال واللسان – من العظائم والإفتراءات .. فيُضفي علي هؤلاء الطواغيت – من قِبل زبانيتهم وعُلمائهم والمخدوعين فيهم – الألقاب الراقية والأوصاف العالية وأنهم هم الصالحون المُصلحون المهديُّون ولاة الأمر الراشدون ، ويُشنع علي أهل الحق الموحدين المُجاهدين لهم بأشنع الألفاظ والأوصاف وأنهم الخوارج التكفيريون السروريون القطبيون الضالون المُضلون حُدثاء الأسنان سُفهاء الأحلام الذين هم بكل أرض مُفسدون ..

كما قال سلفُ هؤلاء الطواغيت الأول فرعون عن سلف أهل الحق الموحدين موسي عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم : **(ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)** (**غافر ٢٦**) .. قبل أن يصف نفسه بأنه هو الذي يهدي إلي سبيل الرشاد !؟! ..

فهذا حال الطواغيت وأنصارهم مع أهل الحق الموحدين إلي قيام الساعة ..

عن أنس بن مالك رضي الله عنهَ أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : (إِنَّ أَمَام الدَّجَّال سُنُونَ خَدَّاعَات يُكَذَّب فِيهَا الصَّادِق وَيُصَدَّق فِيهَا الْكَاذِب وَيُخَوَّن فِيهَا الْأَمِين وَيُؤْتَمَن فِيهَا الْخَائِن وَيَتَكَلَّم فِيهَا الرُّوَيْبِضَة) . الْحَدِيث أَخْرَجَهُ أَحْمَد وَأَبُو يَعْلَى وَالْبَزَّار وَقال ابن حجر في فتح الباري(١٣/٨٤) (سَنَده جَيِّد) .

وعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)) رواه مسلم .

لذلك كان لزاماً علي أهل التوحيد – من باب الجهاد بالقرآن والحجة والبيان – القيام بكشف شبهات المُجادلين عن أهل الشرك والتنديد ، وفضح باطلهم وتعريتهم أمام الناس ، ليكون المسلمون علي بصيرة من دينهم ومن توحيد خالقهم وليقوموا بما فرضه الله عليهم من أحكام الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين وجهاد هؤلاء القوم المجرمين بالقلب واللسان والمال والسِنان ، حتي لا يكون شركٌ ويكون الدين كله للواحد الدَّيان .

وفي هذه الرسالة بعض شبهات القوم المُجادلين عن هؤلاء الطواغيت المُشركين والرد عليها من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وأقوال سلف الأمة الأعلام ، أسال الله العلي العظيم أن يجعلها هدايةً للحائرين و**رماحاً** في صدور الطواغيت وعبيدهم وأنصارهم والمُجادلين عنهم وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ..

فأقول وبالله التوفيق ..

زعمت سخينةُ أن ستغلب ربها ! * وليُغلبن مُغالب الغلَّابِ**

الشبهة الاولى :-

قال تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة ٤٤) .

قال ابن عباس وغيره من السلف الصالح في هذه الآية : (كفر دون كفر) ، أي أن الحكم بغير ما أنزل الله الأصل فيه أنه كفر أصغر لا ينقل عن الملة !!

الرد :

هذه الآية – بفضل الله ومنته – ليست الدليل الوحيد في إثبات أن التشريع مع الله أو الحكم بالتشريع المُصادم لشرع الله كفر أكبر مُخرج من ملة الإسلام .. بل الأدلة في إثبات هذا غزيرة وفيرة يسند بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضا ، لكن لا بأس برد ما أشتبه علي بعضهم في هذا الدليل ..

والرد يكون من أربعة وجوه :-

الوجه الاول : –

هذا الأثر الذي وردت فيه هذه اللفظة مرويٌ من طريق سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس أنه قال : **(إنه ليس الكفر الذي تذهبون إليه إنه ليس كفراً ينقل عن الملة (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) كفر دون كفر)** . **رواه الحاكم وغيره من طريق هشام بن حجير المكي.**

وهشام بن حجير المكى من ناحية عدالته فهو صالحٌ وصدوق ، ولكن من ناحية روايته للأحاديث فهو ضعيف ضعفه الأئمة الثقات في الحديث كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما ..

قال العقيلي في كتابه **(الضُعفاء)** عند ترجمة هشام بن حجير : **(هشام بن حجير ، مكي ، حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا عمرو بن علي قال سمعت يحيى عن حديث هشام بن حجير فأبى أن يحدث به ولم يرضه ، حدثنا محمد قال حدثنا صالح قال حدثنا علي قال قرأت على يحيى بن سعيد كتاباً فيه عن هشام بن حجير حديث فتكلم فيه بشئ فقلت أضرب عليه قال نعم وحدثنا في موضع آخر قال حدثنا صالح قال حدثنا علي قال قرأت على يحيى بن سعيد حديث بن جريج عن هشام بن حجير فقال يحيى خليق أن أدعه قلت ليحيى أضرب على حديثه قال إن شئت ضربت عليه ، حدثنا عبد الله بن أحمد قال سألت يحيى بن معين عن هشام بن حجير فضعفه جداً وسألت أبي عن هشام بن حجير فقال ليس هو بالقوي قلت هو ضعيف قال ليس هو بذاك سمعت أبي مرة أخرى يقول هشام بن حجير مكي ضعيف الحديث ، حدثنا جعفر بن محمد قال حدثنا نصر بن علي قال حدثنا سفيان بن عيينة قال لم نكن نأخذ عن هشام بن حجير إلا ما لا نجده عند غيره)** . انتهى كلامه رحمه الله .

وقال ابن حجر في **(تهذيب التهذيب)** عند ترجمة هشام بن حجير : **(روى عن طاوس ومالك بن أبي عامر الاصبحي والحسن البصري ، وعنه ابن جريج ومحمد بن مسلم الطائفي وشبل بن عباد المكي وابن عيينة .**
قال الميموني عن أحمد عن ابن عيينة قال ابن شبرمة ليس بمكة مثله ، وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه ليس بالقوي قلت هو ضعيف قال ليس هو بذاك ، قال وسألت يحيى بن معين عنه فضعفه جداً ، وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين صالح ، وقال ابن المديني عن يحيى بن سعيد ثنا عنه ابن جريج وخليق أن ادعه قلت اضرب على حديثه قال نعم ، وقال الآجري عن أبي داود ضُرب الحد بمكة قلت في ماذا قال فيما يضرب فيه أهل مكة ، وقال العجلى ثقة صاحب سنة وقال أبو حاتم يكتب حديثه وذكره ابن حبان في الثقات.
قلت وقال ابن سعد كان ثقة وله احاديث وقال الساجي صدوق وقال العقيلي قال ابن عيينة لم ناخذ منه إلا ما لا نجد عنده غيره) . انتهى كلامه رحمه الله .

فهشام ابن حجير كان صالح في دينه لكنه ضعيف في الحديث ، لذلك قال عنه يحي بن معين مرة **(صالح)** وقال عنه مرة **(ضعيف جداً)** ..

وهنالك من الأئمة من وثقه كالعجلي وابن حبان ، ولكنهما مشهوران بالتساهل في توثيق الرجال كما ذكر ذلك الشيخ الألباني رحمه الله كما في **(السلسلة الصحيحة)** (٦٣٣/٧) حيث قال : **(فالعجلي معروف بالتساهل في التوثيق كابن حبان تماماً فتوثيقه مردود إذا خالف أقوال الأئمة الموثوق بنقدهم وجرحهم)** .

وهنا خالف توثيقهما لهشام بن حجير أقوال الأئمة الثقات في الحديث كأحمد بن حنبل ويحي بن معين ..

ووثق هشام بن حجير أيضاً ابن سعد في كتابه **(الطبقات)** وهو غير معتمد في التوثيق والتضعيف لأن أغلب مادة ابن سعد أخذها من الواقدي المتروك ، كما ذكر ذلك ابن حجر في **(مقدمة فتح الباري)** عند ترجمة عبد الرحمن بن شريح حيث قال : **(وشذَّ ابن سعد فقال منكر الحديث ، قلت ولم يلتفت أحد إلى ابن سعد في هذا فإن مادته من الواقدي في الغالب والواقدي ليس بمعتمد)** .

فهذا حال من وثقوا هشام بن حجير !! ، فكيف يُحتج بتوثيقهم له وقد ضعفه الأئمة الأعلام في الجرح والتعديل كأحمد ويحي بن معين وغيرهما ؟!! ..

وهذا الأثر بهذا اللفظ تفرد به هُشام بن حجير لأن الذي رواه عنه هو سفيان بن عيينة الذي لا يروي عن هشام بن حجير إلا ما تفرد به كما هو مذكور أعلاه في ترجمة هشام بن حجير ، أي أنه لا يوجد طريق لهذا الأثر بهذا اللفظ إلا عن طريق هشام بن حجير ..

لذلك فخلاصة القول أن هذا الأثر ضعيف لا تصح نسبته لابن عباس بسبب ضعف هشام بن حجير وتفرده برواية هذا الأثر .

وهنالك بعض الآثار التي ذكرها المفسرون منسوبة لابن عباس في تفسير هذه الآية : **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** (**المائدة ٤٤**) ، لا بأس بذكرها هنا وذكر ما فيها من علل لكي لا يحتج بها محتج علي باطله ..

الأثر الأول : عن معاوية بن صالح عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون) : (من جحد ما أنزلت فقد كفر ، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق) . ذكره الطبري وابن ابي حاتم في تفسيرهما .

وفي هذا الأثر علتان : –

١/ معاوية بن صالح ضعيف ، قال العقيلي في كتابه **(الضعفاء)** عند ترجمة معاوية بن صالح : **(معاوية بن صالح الاندلسي حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا العباس قال سمعت ابن معين قال كان يحيى بن سعيد لا يرضى معاوية بن صالح ، حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا صالح قال حدثنا على سألت يحيى بن سعيد عن معاوية بن صالح قال ما كنا نأخذ عنه ذلك الزمان ، حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا الحسن بن علي قال**

حدثنا أبو صالح محبوب الفراء قال حدثنا أبو إسحاق يوماً بحديث عن معاوية ثم قال أبو إسحاق ما كان بأهل أن يروى عنه ، حدثنا حجاج بن عمران قال حدثنا أحمد بن سعيد بن أبي مريم قال سمعت خالي موسى بن سلمة قال أتيت معاوية بن صالح لأكتب عنه فرأيت أداة الملاهي قال فقلت ما هذا قال شئ يهديه إلى ابن مسعود صاحب الاندلس قال تركته ولم أكتب عنه) . انتهى كلامه رحمه الله

٢/ الإنقطاع بين ابن أبي طلحة وابن عباس ، فابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس . وأي من العلتين تكفي – ولله الحمد والمنة – لنسف الإحتجاج بهذا الأثر ..

الأثر الثاني : عن سفيان عن معمر بن راشد عن عبد الله بن طاوس عن أبيه طاوس عن ابن عباس في قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) ، قال: (هي به كفر ، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله) ذكره الطبري في تفسيره وابن بطة في الإبانة الكبري .

ورواية سفيان عن معمر لهذا الأثر فيها أن مقولة **(وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله)** هي من قول ابن عباس كما هو واضحٌ أعلاه ..

ولكنها ليست كذلك ! .. بل هي من قول عبد الله بن طاوس وليست من قول ابن عباس ، كما ثبت ذلك في رواية عبد الرزاق عن معمر ..

فعن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه قال: سئل ابن عباس عن قوله (فأولئك هم الكافرون) ؟ قال: (هي به كفر) ، قال ابن طاوس: (وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله) . ذكره ابن بطة في الإبانة الكبري .

وأئمة الحديث ذكروا أنه إذا أختلف أصحاب معمر في الرواية عنه فالرواية الموثوقة هي رواية عبد الرزاق عن معمر ، وإليك طرفاً من أقوالهم :

قال محمد بن سهل بن عسكر في **(تاريخ أسماء الثقات) (١/١٨٠٠)**: **(سمعت أحمد بن حنبل يقول: (إذا اختلف أصحاب معمر في حديث معمر فالحديث حديث عبد الرزاق))** .

ورجح الحافظ ابن حجر رواية عبد الرزاق عن معمر علي رواية الثقة عبد الأعلي عن معمر حيث قال في **(فتح الباري) (٢/٣٦٨)** : **(ووقع عند النسائي أيضا في حديث الزهري من رواية عبد الأعلى عن معمر زيادة البطة بين الكبش والدجاجة لكن خالفه عبد الرزاق ، وهو أثبت منه في معمر ، فلم يذكرها)** .
وأكد ابن عبد البر هذا في **(التمهيد) (٦/٤١٠)** بقوله : **(وأبان أنه ليس بحجة ولا تقبل زيادته على عبد الرزاق لأن عبد الرزاق أثبت الناس في معمر)** .

وقال عباس الدوري عن يحي بن معين : **(كان عبد الرزاق أثبت في حديث معمر)** ذكره ابن حجر في (**تهذيب التهذيب**) **(٢٧٩/٦)**

وفي هذا الأثر خالف سفيان عبد الرزاق في روايته عن معمر ، لذلك لا يُحتج بمخالفته لعبد الرزاق بنسبته المقوله لابن عباس ..
لذلك فإن مقولة **(وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله)** ليست من قول ابن عباس ، بل هي من قول ابن طاوس كما روي عبد الرزاق عن معمر . بل الثابت عن ابن عباس قوله **(هي به كفر)** ولم يزد عليها .

الأثر الثالث : عن محمد بن يحي قال حدثنا عبد الرزاق عن سفيان عن رجل عن طاوس عن ابن عباس في قوله (فأولئك هم الكافرون) ، قال : (كفر لا ينقل عن الملة) . ذكر الطبري نحوه في تفسيره .

وكما هو مُلاحظ فإن السند به رجل مجهول ، لذلك لا يُعتد بهذا الأثر ..

الوجه الثاني : –

علي فرض صحة هذه الآثار وصحة نسبتها لابن عباس رضي الله عنهما ، فإن قول الصحابي ليس بحجة إذا خالفه غيره من الصحابة كما هو متقرر في قواعد الأصول ، وفي سبب نزول هذه الآية **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** (**المائدة ٤٤**) ، ذكر البراء بن عازب رضي الله عنه أنها نزلت في الكفار وهم اليهود ، أي نزلت فيمن كفره **كفرٌ أكبر** ، واليهود الكفار ليس لديهم **(كفر دون كفر)** أو **(كفر أصغر)** ، لأن الكفر الأصغر معصية سماها شرعنا الحنيف كفراً من باب الزجر إذا أرتكبها **المُسلم** لم يخرج بها من الإسلام .. واليهود كفار وليسوا مُسلمين !!
فكيف إذن يكون الأصل في هذه الآية الكفر الأصغر وهي نزلت إبتداءً في اليهود الكُفار ؟!
هل المقصود أن فعل اليهود الذي نزلت بسببه هذه الآية كُفر أصغر ؟!! أم المقصود أن اليهود كفرهم كفر أصغر ؟!!

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : (مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا فَدَعَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ قَالُوا نَعَمْ ..
فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ قَالَ لَا وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ نَجِدُهُ الرَّجْمَ وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ قُلْنَا تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) إِلَى قَوْلِهِ (إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ) يَقُولُ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَنْ لَمْ

يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ) (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ) (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ) فِي الْكُفَّارِ كُلُّهَا) رواه مسلم.

وليست الآية خاصة باليهود لأن العبرة في الخطاب الشرعي – القرآن والسنة – بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي ذكر فيه ذلك الخطاب كما هو معلوم ، والآية عامة في ألفاظها كما هو مُلاحظ ..
فالآية تشمل عُلماء اليهود وغيرهم ممن فعل مثل فعلهم من تشريع الأحكام المُصادمة لحكم الله والحكم بها في الناس ، وهذا الفعل الذي فعلوه **كفر أكبر** بالإجماع لأنه يتضمن منازعه الله حق التشريع لعباده وإشراك أنفسهم مع الله في الحُكم ، فحكموا في الناس وبينهم بتشريعات وأحكام وضعوها من زبالة أذهانهم ..
فلا يُحتج بالأثر المنسوب لابن عباس رضي الله عنه مع وجود المُخالف له من الصحابة ، هذا كما ذكرنا آنفاً إذا فرضنا صحة نسبة تلك الآثار لابن عباس رضي الله عنه .

الوجه الثالث : –

كما ذكرت في **(الرماح السَّمهريَّة (١))** فإن صور الحكم بغير ما أنزل الله تتضمن صورتين رئيستين : –

١/ الصورة الشركية التشريعية التي تتضمن التشريع مع الله أو الإتيان بتشريع مُصادم لشرع الله يُحل حرامه أو يُحرم حلاله أو يغير أحكامه وحدوده – سواءٌ أكان هذا التشريع شريعة منسوخة كالتوراة والإنجيل أو تشريع وضعي من وضع أذهان البشر – والحكم به في الناس وبينهم ، فهذه الصورة كفر أكبر **بالإجماع** ، نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم – ونقلتها في **(الرماح السَّمهريَّة (١))** – لأنها تتضمن مُنازعة ومشاركة لله جل وعلا في حق التشريع لعباده والتحليل لهم والتحريم عليهم ، وإشراك غير الله معه في الحكم .

قال تعالى : **(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى ٢١) ..**

وقال تعالي : **(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)** (التوبة ٣١).
وإتخاذهم أرباباً كان بتنصيبهم **مُشرِّعين** يُحلون ويُحرمون من دون الله ويُطاعون في ذلك ..

وقال تعالي : **(وَلَا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)** (الكهف ٢٦) ..

٢/ صورة الظلم والجور التي تمثل الحاكم المسلم الذي يحكم في الناس وبينهم بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وهي مرجعه في جميع القضايا والأحكام ، ولا يرجع لشريعة غير شريعة الإسلام ، لكنه يظلم الرعية ويجور عليهم ويُحابي بعضهم علي بعض ويعطي الظالم حق المظلوم ويطبق الأحكام والحدود **الشرعية** علي الضعفاء من الرعية ويتحايل عند تطبيقها علي الشُرفاء منهم من باب قول النبي عليه الصلاة والسلام :

(إدرؤا الحدود بالشبهات) !! ، فيأتي بالشبهات الغزيرة حتي يتحايل لرد هذه الحدود عن هؤلاء الشُرفاء .. وكل هذا إما لهويً أو لرشوة أو لقرابة أو لغير ذلك من حظوظ الدنيا الزائلة ..

فهذا الحاكم في هذه الصورة لم ينازع الله حق التشريع لعباده ، ولا أشرك مع الله غيره من الطواغيت في الحكم في الناس وبينهم ، ولم يكن له مرجع عند فض النزاعات والخصومات غير شريعة الإسلام ..

وكل ما أرتكبه هو **الظلم** للرعية عند فض النزاعات والخصومات التي تحدث بينهم ، **والترك المجرد** – أي الذي لم يصاحبه تشريع أحكام وضعية – لتنزيل حكم الله علي بعض الأعيان من الناس ، فهو حاكم بشرع الله لكنه يظلم الرعية ويترك تنزيل الأحكام علي المُعينين في بعض الوقائع ..

و**الظلم والترك للحكم** من الذنوب والكبائر التي لا تُخرج صاحبها من الإسلام بمجرد إرتكابها وليست من نواقض الإسلام ، بل لا يخرج صاحبها من الإسلام إلا **بإستحلاله** لهذا الظلم أو الترك ، أو **جحوده** وإنكاره لأحكام الله وحدوده في تلك الوقائع ، أو **بتفضيله** لظلمه وتركه هذا علي حكم الله العدل ، أو **بمساواة** هذا الظلم والترك للحكم بحكم الله الحق ، أو **بالإستهانة** بحكم الله ..

وهذا الحُكم بهذه الصورة – أعني **صورة الظلم والجور** – كان في عهد الصحابة والتابعين لهم بإحسان من بعض حكام بني أُمية الذين عاصرهم الصحابة ، ومع هذا لم يحكم السلف الصالح بكفرهم ، بل لم يكفرهم إلا **الخوارج** – الذين ظهروا في زمن الصحابة وناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما ومن بعده من التابعين – والذين يكفرون بالذنوب والكبائر التي لا تُخرج صاحبها من الإسلام ، لأنهم يرون مُجرد إرتكاب المعصية غير المُكفرة **حكماً بغير ما أنزل الله !** ، واستدلوا بنفس هذه الآية **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** ، علي تكفير كل صاحب ذنب وكبيرة غير مُكفرة ، ومن ضمنهم هذا الحاكم الظالم الجائر ..

قال الإمام ابن عبد البر في كتابه **(التمهيد)** (٥/٧٤) : **(وأجمع العلماء علي أن الجور في الحكم من الكبائر لمن تعمد ذلك عالماً به ، ورويت آثار شديدة عن السلف ، وقال الله عز وجل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، (الظالمون) ، (الفاسقون) . نزلت في أهل الكتاب ، قال حذيفة وابن عباس: وهي عامة فينا ، قالوا ليس بكفر ينقل عن الملة إذا فعل ذلك رجل من أهل هذه الأمة حتي يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، روي هذا المعني عن جماعة من العلماء بتأويل القرآن منهم ابن عباس وطاوس وعطاء)** إنتهي كلامه رحمه الله .
فهذا كلامه رحمه الله واضح في أن الآثار المأثورة عن السلف كابن عباس وطاوس وعطاء وغيرهم هي في **صورة الظلم والجور** في الحكم التي هي من الكبائر بإجماع العلماء ، وليست من نواقض الإسلام .. لأنها لاتتضمن منازعة الله في التشريع والتحليل والتحريم لعباده ، أو إشراك غيره الله عز وجل معه في الحكم في الناس وبينهم .

فعلي فرض صحة هذه الآثار المنسوبة لابن عباس رضي الله عنهما والتابعين من بعده والمُفسرين ، فتكون في **ردهم وجوابهم علي الخوارج** الذين أحتجوا بهذه الآية علي تكفير عصاة المُسلمين الذين أرتكبوا ذنوباً ليست من

نواقض الإسلام ، ومن ضمنهم الحاكم الظالم الجائر التارك لتنزيل الأحكام الشرعية علي بعض أعيان الناس لهوي أو لرشوة أو لقرابة أو لغير ذلك ..

إذن فهي في ردهم علي إستدلال الخوارج بهذه الآية ، وليست تفسيراً للآية .. فتأمل .

قال أبو حيّان الأندلسي في تفسيره **(البحر المحيط)** (٤٩٣/٣) عند تفسير قوله تعالي : **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** (المائدة ٤٤) : **(واحتجت الخوارج بهذه الآية على أنّ كل من عصى الله تعالى فهو كافر ، وقالوا : هي نص في كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر ، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله فوجب أن يكون كافراً .**

وأُجيبوا : بأنها نزلت في اليهود ، فتكون مختصة بهم . وضُعِّف بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ومنهم من قال : تقديره ومن لم يحكم بما أنزل الله من هؤلاء الذين سبق ذكرهم قبل ، وهذا ضعيف ، لأنّ من شرط وهي عام ، وزيادة ما قدر زيادة في النص ، وهو غير جائز .

وقيل : المراد كُفر النعمة ، وضُعِّف بأنّ الكفر إذا أطلق انصرف إلى الكُفر في الدّين .

وقال ابن الأنباري : فعل فعلاً يضاهي أفعال الكفار ، وضُعِّف بأنه عدول عن الظاهر .

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني : ما أنزل صيغة عموم ، فالمعنى : من أتى بضد حكم الله في كل ما أنزل الله ، والفاسق لم يأت بضد حكم الله إلا في القليل وهو العمل ، أما في الاعتقاد والإقرار فهو موافق . وضُعِّف بأنه لو كان كذلك لم يتناول هذا الوعيد اليهود بسبب مخالفاتهم حكم الله في الرجم . وأجمع المفسرون على أن هذا الوعيد يتناول اليهود بسبب مخالفتهم حكم الله في واقعة الرجم ، فدل على سقوطه هذا .

وقال عكرمة : إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه ، أما من عرف أنه حكم الله وأقر بلسانه أنه حكم الله إلا أنه أتى بما يضاد ، فهو حاكم بما أنزل الله ، لكنه تارك له ، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية) . انتهى كلامه رحمه الله .

فهذا الإمام أبو حيان الأندلسي رحمه الله يبيِّن أن هذه الآثار هي في رد السلف الصالح علي الخوارج عند إستدلالهم بالآية علي تكفير أصحاب المعاصي من المُسلمين ومنهم الحاكم الجائر الحاكم بما أنزل الله لكنه يترك تنزيله في بعض الوقائع علي أعيان من الناس .. **وليست تفسيراً لنفس الآية .**

وقال الإمام النيسابوري عند تفسيره لنفس الآية **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** (المائدة ٤٤) : **(إحتجت الخوارج بالآية على أن كل من عصى الله فهو كافر . وللمُفسرين في جوابهم وجوه :**

الأول انها مختصة باليهود ، ورُدَّ بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا ريب أن لفظ (من) في معرض الشرط للعموم فلا وجه لتقدير ومن لم يحكم من هؤلاء المذكورين الذين هم اليهود لأنه زيادة في النص .

وقال عطاء : هو كفر دون كفر . وقال طاوس : ليس بكفر الملة ولا كمن يكفر بالله واليوم الآخر . فلعلهما أراد كفران النعمة ، وضُعِّف بأن الكافر إذا أطلق يراد به الكافر في الدين .

وقال ابن الأنباري : المراد أنه يضاهي الكافر لأنه فعل فعلاً مثل فعل الكافر وزيف بأنه عدول عن الظاهر .

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني : معناه من أتى بضد حكم الله تعالى في كل ما أنزل فيخرج الفاسق لأنه في الاعتقاد والإقرار موافق وإن كان في العمل مخالفاً . واعترض بأن سبب النزول يخرج حينئذ لأنه نزل في مخالفة اليهود في الرجم فقط ، ويمكن أن يقال : المحرّف داخل في الكل .

وقال عكرمة : إنما تتناول الآية من أنكر بقلبه وجحد بلسانه ، أما العارف المقر إذا أخل بالعمل فهو حاكم بما أنزل الله تعالى ولكنه تارك فلا تتناوله الآية) إنتهى كلامه رحمه الله .

وهذا الإمام النيسابوري رحمه الله أيضاً يبيِّن أن هذه الآثار هي في رد السلف الصالح علي الخوارج ، وليست تفسيراً لنفس الآية .

وقال الإمام السمعاني في تفسيره لنفس الآية **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)**(٤٢/٢) **: (وأعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية ويقولون : من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ، وأهل السنة قالوا : لا يكفر بترك الحكم)** إنتهى كلامه رحمه الله .

وكلامه واضح في أن الخوارج يستدلون بالآية نفسها علي تكفير الحاكم التارك للحكم – وليس الذي ترك **ثم** شرِّع الأحكام الطاغوتية أو أشرك غير الله من الطواغيت المُشرِّعين معه في الحُكم – وهي صورة حكام زمانهم كما أسلفنا ، والذين لم يكفرهم إلا الخوارج ورد عليهم السلف الصالح بتلك الآثار ..

وقال الإمام القرطبي في كتابه **(المُفهم)** (١١٧/٥) **: (وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) يحتج بظاهره من يكفر بالذنوب ، وهم الخوارج ! ولا حجة لهم فيه لأن هذه الآيات نزلت في اليهود المُحرفين كلام الله تعالي كما جاء في الحديث ، وهم كُفار ، فيشاركهم في حكمها من يشاركهم في سبب النزول)** إنتهى كلامه رحمه الله .

وكلامه واضح في أن الخوارج إستدلوا بها علي تكفير أهل المعاصي والذنوب التي لا تُخرج صاحبها من الإسلام ، وأن من فعل مثل فعل اليهود الكُفار الذين نزلت فيهم الآية – من التشريع مع الله أوالحُكم بذلك التشريع ولو **تشريعاً واحداً** – فهو كافر مثلهم لأنه شاركهم في نفس صورة سبب النزول .

علي هذا فإن هذه الآثار – إن صحت – هي ردٌ علي تكفير الخوارج لأصحاب المعاصي ولبعض حُكام زمانهم من بني أُمية الذين يحكمون **بالشريعة الإسلامية** ولكن يحصل منهم الظلم والجور للرعية أو ترك تنزيل الأحكام الشرعية علي أعيان من الناس ، **ولم يكونوا طواغيت مُشرعين نازعوا الله حق التشريع لعباده والتحليل لهم والتحريم عليهم ، ولا أتوا بتشريعات اليهود أو نصاري الروم أو مجوس الفُرس أوغيرها من تشريعات مِلل الكُفر وحكموا بها في دماء المُسلمين وأموالهم وأعراضهم وألزموا المُسلمين بالتحاكم إليها وعاقبوا من خالفها وخرج عليها ..**

فهؤلاء هم الذين قال عنهم ابن عباس رضي الله عنهما والسلف الصالح – رداً علي الخوارج – أن ما فعلوه من الجور في الحكم وترك تنزيله علي بعض الأعيان من الناس : **(ليس بالكفر الذي تذهبون إليه)** ، و **(هو كفر دون كفر)** .

أما ما هو موجود اليوم من طواغيت الحكم الجاثمين علي صدر الأمة الإسلامية ، فهو من **الصورة الشركية التشريعية** التي تتضمن منازعه الله في التشريع وإشراك غير الله معه في الحُكم في الناس وبينهم ، فهذه الصورة من الشرك والكُفر البواح ، ولا يصح الإستدلال بهذه الآثار الواردة عن السلف علي هذه الصورة الشركية الموجودة من الطواغيت اليوم ، لأن هذه الآثار – كما تقدم – هي في الرد علي الخوارج المُكفرين لأصحاب المعاصي والكبائر ومن ضمنهم الحاكم في صورة الظلم والجور وهي صورة حكام زمانهم من بني أمية الذين عاصرهم الصحابة ، فكيف تُنزَّل هذه الآثار علي الصورة الشركية التشريعية وهي غير الصورة التي ذكرت فيها ؟!! ولا يستدل بهذه الأثار علي هذه الصورة الشركية التشريعية الموجودة من الطواغيت المُشرِّعين اليوم إلا **المُضلِلُون** ..

قال العلامة أحمد محمد شاكر في كتابه **(عمدة التفاسير)** (١٥٦/٤) وهو من أوائل العلماء الذين عاصروا فتنة تحكيم القوانين الوضعية علي بلاد المُسلمين : **(وهذه الآثار – عن ابن عباس وغيره – مما يلعب به المُضلِلُون في عصرنا هذا ، من المنتسبين للعلم ، ومن غيرهم من الجرآء على الدين ، يجعلونها عذراً أو إباحة للقوانين الوثنية الموضوعة ، التي ضُربت على بلاد الإسلام . وهناك أثر عن أبي مجلز ، في جدال الإباضية إياه ، فيما كان يصنع بعض الأمراء من الجور ، فيحكمون في بعض قضائهم بما يخالف الشريعة ، عمداً إلى الهوى ، أو جهلاً بالحكم . والخوارج من مذهبهم أن مرتكب الكبيرة كافر ، فهم يجادلون يريدون من أبي مجلز أن يوافقهم على ما يرون من كفر هؤلاء الأمراء ، ليكون ذلك عذراً لهم فيما يرون من الخروج عليهم بالسيف .)** ..

ثم قال نقلاً عن أخيه محمود محمد شاكر في **(عمدة التفاسير)** (١٥٧/٤–١٥٨) عند كلامه عن أثر أبي مُجلز في رده علي الإباضية الخوارج لما سألوا عن حكام زمانهم من بني أُمية : **(اللهم إني أبرأ إليك من الضلالة . وبعد ، فإن أهل الريب والفتن ممن تصدروا للكلام في زماننا هذا ، قد تلمس المعذرة لأهل السلطان في ترك الحكم بما أنزل الله ، وفي القضاء في الدماء والأعراض والأموال بغير شريعة الله التي أنزلها في كتابه ، وفي اتخاذهم قانون أهل الكفر شريعة في بلاد الإسلام . –** ثم ذكر أثر أبي مجلز وما تعلق به ثم قال **– وإذن ، فلم يكن سؤالهم عما احتج به مبتدعة زماننا ، من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام ، ولا في إصدار قانون مُلزم لأهل الإسلام ، بالاحتكام إلى حكم غير حكم الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم . فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ، ورغبة عن دينه ، وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى ، وهذا كُفر لا يشك أحد من أهل القبلة – على اختلافهم – في تكفير القائل به والداعي إليه)** انتهى كلامهم رحمهم الله .

فهذا كما قلنا مِراراً وتكراراً إذا تنزلنا وفرضنا صحة تلك الآثار المنسوبة لابن عباس رضي الله عنهما .. وبالله التوفيق .

تنبيه مُهم : بعض الأفاضل من أهل العلم عند ردهم علي المُجادلين عن الطواغيت يقولون أن هذه الآثار المنسوبة لابن عباس – إن صحت – هي ردٌ علي الخوارج لما كفروا علي ومعاوية والحكمين – رضي الله عنهم جميعاً – في قصة الإصلاح المشهورة بين جيش علي وجيش مُعاوية بعد الفتنة التي حصلت بين الصحابة ، فرد عليهم ابن عباس رضي الله عنهما **(كفر دون كفر)** ! ..

وهذا فيه نظر ! ..

لأن الصحابة لم يرتكبوا معصية أو مُحرماً بتحكيمهم للحكمين لحقن دماء المُسلمين ، حتي يقول ابن عباس أن ما فعله الصحابة **(كفر دون كفر)** !! ..

بل ما فعلوه هو عين تحكيم الشريعة ، ونظير قوله تعالي **(يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)** ، وقوله تعالي **(فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا)** كما ذكر ذلك ابن عباس رضي الله عنهما عند مناظرته للخوارج لما كفروا علياً ومعاوية والحكمين رضي الله عن الصحابة أجمعين ..

والصحيح هو أن هذه الآثار هي في ردهم علي الخوارج لما كفروا أصحاب الكبائر من المُسلمين ومن ضمنهم حُكام الجور المُسلمين من بني أمية .. والله أعلم .

الوجه الرابع : –

إن الكفر إذا أُطلق في كلام الله جل وعلا أو كلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولم تأتي قرينة تُقيده أو تصرفه عن ظاهره ، فإن المُراد به **الكُفر الأكبر** المُخرج من الملة أو **الكُفر في الدين** ، كما كان يفهم ذلك الصحابة رضوان الله عليهم من كلام النبي عليه الصلاة والسلام ..

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : (قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ)، قِيلَ (أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ؟!) ، قَالَ (يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ) رواه البخاري .

فالصحابة فهموا أول ما فهموا من قوله عليه الصلاة والسلام **(يَكْفُرْنَ)** الكفر الأكبر ، وهو الكفر بالله العظيم لذلك قالوا **(أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ؟!)** ، أي أن أول ما يتبادر إلي **فهم الصحابة** عندما يذكر الرسول عليه الصلاة والسلام **(الكُفر)** ومُشتقاته بدون قرينه تصرفه عن ظاهره أو تُقيده ، هو **الكفر الأكبر** ، **وفهم الصحابة حجةٌ في فهم النصوص الشرعية** .

وكذلك يلحق بلفظ الكفر ومُشتقاته اسم الفاعل منها ك **(الكفار ، الكافرون ، الكفرة ، الكوافر)** ، في أن المُراد بها إذا أطلقت – ولم تأتي قرينه تُقيده في القرآن أو السنة – الذين لا يدينون بالإسلام أي الكفار في الدين .

وتقدم قول الإمام أبي حيان الأندلسي في رده علي من قال أن **(الكافرون)** في آية **(المائدة ٤٤)** المقصود بها الكُفر الأصغر : **(وضُعِّف بأنّ الكُفر إذا أطلق انصرف إلى الكفر في الدّين) ..**
وكذلك قول الإمام النيسابوري في رده علي نفس هذا التأويل : **(وضُعِّف بأن الكافر إذا أطلق يراد به الكافر في الدين) ..**

وهذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في أن **(الكفر)** المُعرف باللام المقصود به الكفر الأكبر وفرق بينه وبين **(كُفر)** إذا أطلق نكره ، وأن المُراد بهذا الأخير عادةً الكفر الأصغر في إستعمال الشرع ..
حيث قال في كتابه **(إقتضاء الصراط المُستقيم)** (١٩٥/١) **(وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة) ، وبين كفر منكر في الإثبات .**
وفرق أيضاً بين معنى الاسم المطلق إذا قيل : كافر أو مؤمن ، وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارده كما في قوله : (لا ترجعوا بعدي كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض) ، فقوله : (يضرب بعضكم رقاب بعض) تفسير الكفار في هذا الموضع ، وهؤلاء يسمون كفاراً تسمية مقيدة ، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل : كافر ومؤمن . كما أن قوله تعالى : (مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ) سمى المني ماءً تسمية مقيدة ولم يدخل في الاسم المطلق حيث قال : (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا) . إنتهي كلامه رحمه الله

ومن المعلوم أن النبي صلي الله عليه وسلم في بعض الأحاديث سمي بعض المعاصي غير المُكفرة **كفراً أو شركاً** من باب الزجر والتغليظ ، لكن أتت قرآئن من كلام الله جل وعلا أو كلام رسوله عليه الصلاة والسلام صرفت هذا الكُفر أو الشرك إلي غير ظاهره ، أي صرفته إلي **الكفر الأصغر** أو **الشرك الأصغر** الذي لا يُخرج من الملة ..
وذلك مثل : **كُفران العشير – كما في الحديث المُتقدم – ، وقتال المُسلم ، والطعن في النسب ، والنياحة علي الميت** ، وغير ذلك من الذنوب.

فهذه الذنوب هي من الكبائر التي لا تُخرج صاحبها من الإسلام بمُجرد فعلها – مالم يستحلها – ولكن سُميت في الشريعة الإسلامية كفراً أو شركاً لبيان عظم هذه الذنوب ، وشدة خطرها ، ولتنفير الناس منها ، ومع هذا فإنها ليست مُخرجة من الإسلام ، **لأنه أتت قرآئن من القرآن أو السنة** – ليس هذا موضع بسطها – صرفتها للكفر الأصغر أو الشرك الأصغر ، ولو لم تأتي هذه القرآئن لبقيت علي ظاهرها في أن المُراد بالشرك أو الكُفر هنا الأكبرين المُخرجين من المِلة .. فلله الحمد والمِنة .

والآية **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** ، لم تأتي قرينة من كلام الله جل وعلا أو كلام رسوله صلي الله عليه وسلم تصرف **(الْكَافِرُونَ)** عن ظاهرها إلي الكافرون الكُفر الأصغر .. فتبقي علي ظاهرها في أن المُراد بها **الكافرون في الدين** ، أي من **كفره أكبر** مُخرج من ملة الإسلام . كما ذكر ذلك الإمامين أبو حيان الأندلسي والنيسابوري في تفسيرهما لهذه الآية ونقلناه عنهما فيما تقدم .

ونظير هذه الآية في القرآن كثير ، ومن ذلك :

قوله تعالي : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١)) (النساء) .

وقوله تعالي : (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١)أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)) (عبس)

وقوله تعالي : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)) (الكافرون) .

وقوله تعالي : (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (برآءة٣٢)

وقوله تعالي : (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (المؤمنون١١٧) .

وقوله تعالي : (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ) (العنكبوت ٤٧) .

وقوله تعالي : (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣)) (ق) .

فهل يا تُري ألفاظ (الْكَافِرُونَ) و (الْكَفَرَةُ) في هذه الآيات السابقة ، مقصودٌ بها من كفره كفر أصغر وكفر دون كفر ؟!

وما الفرق بين هذه الآيات وبين آية (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) ؟!!

الحمد لله الذي عافانا مما أبتلي به مطموسي البصائر الذين أعمي الله بصرهم وبصيرتهم بجدالهم عن طواغيت الحكم ومُشرعي القوانين ، ونعوذ بالله من الضلال بعد الهداية ومن الحَوَر بعد الكَوَر ..

الخُلاصة : –

وخلاصة القول – عندي – في هذه الآية (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة ٤٤) ، أنها آية عامة في ألفاظها ، تشمل كل من ترك الحُكم بما أنزل الله بقرينة (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) ، وتبين أنه من الكافرين بقرينة (فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) ، وكفر الحاكم التارك للحكم هنا يكون إما **أكبر** مُخرج من المِلة أو **أصغر** لا يُخرج من المِلة بحسب تركه ، لأن **الترك** أنواع ، وهي :

١/ أن يترك تحكيم شريعة الإسلام **كُلياً** في جميع القضايا والوقائع والحوادث – بدون تشريع شرع جديد أو تحكيم شريعة منسوخة – فلا يلتفت عند الحكم إلي شرع الله أصلاً ، ولا يحكم إلا بما يراه هواه في لحظة الحُكم .. فهذا كُفر الإعراض والتولي وهو **كفرٌ أكبر** ناقل عن المِلة ومناقض للإسلام الذي حقيقته الإستسلام والإذعان والإنقياد لله عز وجل ولشريعته التي أمر بها علي لسان رسوله عليه الصلاة والسلام .

قال تعالي : **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ)** (الأحقاف٣) .

وقال تعالي : **(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا)** (الفرقان ٤٣) .

وقال تعالي : **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** (النساء ٦٥) . وهذا النفي هنا **لأصل الإيمان** ..

لذلك قال الإمام أبوبكر الجَصَّاص في كتابه **(أحكام القرآن)** في تفسير هذه الآية الأخيرة : **(وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الإسلام ، سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم ، وَذَلِكَ يُوجِبُ صِحَّةَ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي حُكْمِهِمْ بِارْتِدَادِ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ وَقَتْلِهِمْ وَسَبْيِ ذَرَارِيِّهِمْ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكَمَ بِأَنَّ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَاءَهُ وَحُكْمَهُ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ .)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال ابن حزم في كتابه **(الفِصل في المِلل والأهواء والنِحل)** (٢٩٣/٣) عن هذه الآية أيضاً : **(فهذا هو النص الذي لا يحتمل تأويلاً ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره أصلاً ولا جاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الإيمان)** .
إنتهي كلامه رحمه الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته **(نواقض الإسلام)** : **(الناقض العاشر : الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالي : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ)** (السجدة ٢٢)) إنتهي كلامه رحمه الله .

٢/ أن يترك تحكيم شريعة الإسلام – كُلياً أو جُزئياً – **ثم** يحكم في الناس وبينهم بتشريع وضعي يُحل الحرام أو يُحرم الحلال أو يُرخص للكفر أو يُغير أحكام الشريعة الإسلامية وحدودها ، سواءٌ أكان هذا التشريع من وضعه هو أو من وضع غيره ، وسواءٌ أكان هذا التشريع في مسألة واحدة أو مسألتين أو ثلاث أو أكثر .. أو يحكم في الناس وبينهم بشريعة منسوخة كالتوراة والإنجيل .

فهذه الصورة هي **الصورة الشركية التشريعية** للحكم والتي تتضمن مُنازعة الله حق التشريع لعباده والتحليل لهم والتحريم عليهم ، وإشراك غير الله – من الطواغيت المُشرِّعين – معه في الحُكم بين الناس وفيهم ، وهذه الصورة **كُفر أكبر بالإجماع** لا يشك أحد من أهل القبلة في تكفير صاحب هذه الصورة كما ذكر ذلك العلامة محمود محمد شاكر ونقلناه عنه فيما تقدم . وهي صورة الحكام الطواغيت وهيئاتهم التشريعية الجاثمين اليوم علي صدر الأمة الإسلامية .

وهي نفس صورة سبب نزول الآية **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** ، التي نزلت في علماء اليهود الذين شرعوا حداً للزنا – وهو التحميم والجلد – من زبالة أفكارهم ، وحكموا بهذا التشريع في الهمج الرعاع من اليهود كما ذكرنا آنفاً ، لذلك فإن **الأصل في هذه الآية** أنها في **الكُفر الأكبر** لأنها نزلت في طواغيت نازعوا الله في الحُكم والتشريع .

٣/ أن يترك تحكيم شريعة الإسلام في بعض القضايا والوقائع والحوادث – بدون تشريع شرع جديد أو تحكيم شريعة وضعية أو منسوخة – ، وهو في الأصل مرجعه عند الحكم **الشريعة الإسلامية** ، ولا يستقي أحكاماً وتشريعات من غيرها ، ولكن يحصل منه الظُلم والجور للرعية ، بتطبيق الشريعة علي ضعفائهم ، والتحايل – بإلقاء الشبهات – لعدم تطبيقها علي شُرفائهم ومُقرَّبيهم .. إما لهويً أو لرشوة أو لقرابة أو لغير ذلك .
فهذه الصورة هي **صورة الظلم والجور** ، وهذا **الترك والظلم** من الكبائر **بالإجماع** وليس من نواقض الإسلام ، ولم يُكفر بمثل هذا الترك والظلم إلا **الخوارج** الذين يُكفرون بالكبائر ، فرد عليهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن هذه الصورة ليست كُفراً أكبر بل من **الكفر الأصغر** ولا يصير كُفراً أكبر إلا **بالجحود أوالإستحلال أو التكذيب** أو غير ذلك من النواقض – كما تقدم – ، ومن هذه الردود علي الخوارج الآثار المنسوبة لابن عباس رضي الله عنهما إن صحت نسبتها له .

والله أعلم .

نسأل الله التوفيق والسداد والثبات علي التوحيد حتي الممات .

الشبهة الثانية : –

قال تعالي : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (المائدة ٤٥) .
وقال تعالي : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (المائدة ٤٧) .

فبين الله جل وعلا أن الحاكم بغير ما أنزل الله ظالم وفاسق ، والظُلم والفسق ليسا بكفر ينقل عن الملة !

الرد :

هذا القول يدل علي عظيم الجهل بكلام الله جل وعلا ، إذ من المعلوم أن ألفاظ **الظلم والفسق** رغم أنها تطلق في الأصل علي ذنوب وكبائر لا تُخرج من الملة .. إلا أنها قد تأتي في القرآن الكريم بمعني الكفر والشرك الأكبر المُخرج من المِلة!

وكذلك اسم الفاعل منها **كالظالمون والفاسقون** ، قد تأتي في القرآن الكريم ويقصد بها الكُفار بالله العظيم .. ومن ذلك :

قوله تعالي : **(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)** (لقمان ١٣) .. فالظلم هنا أتي بمعني الشرك الأكبر .

وقوله تعالي : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** (البقرة ٢٥٤) ..

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : **(وقوله (والكافرون هم الظالمون) مبتدأ محصور في خبره ، أي ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذٍ كافراً .)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقوله تعالي عن أبليس عليه لعنة الله : **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)** (الكهف ٥٠) . فسمي الله جل وعلا عدم سجود أبليس لآدم فسقاً ..

والفسق هنا بمعني الكفر الأكبر ، لأن إبليس صار كافراً بسبب عدم سجوده لآدم .. قال تعالي : **(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤))** (ص)

وقوله تعالي عن المُنافقين : **(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)** (التوبة ٦٧) .

والمُنافقون كُفار بإجماع أهل السُنة .. قال الله تعالي عنهم : **(وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ)** (التوبة ٥٤) .

والتفريق بين الظلم والفسق المُخرج من الملة وبين الظلم والفسق اللذان هما من الذنوب والكبائر التي لاتُخرج من المِلة ، يكون حسب القرائن التي تأتي في القرآن أو السنة فتصرفهما عن أصلهما الغير مُخرج من الملة إلي الكفر والشرك المُخرج من الملة . كما هو واضح في الآيات السابقة .

كذلك بالنسبة لآيتي سورة المائدة **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** ، **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)** فأن المقصود ب **(الظَّالِمُونَ)** و **(الْفَاسِقُونَ)** هنا ، **الخارجون عن الإسلام** ، لأنها نزلت في الكُفار وهم اليهود كما ذكر البراء بن عازب رضي الله عنه – كما تقدم – وذلك لما نازعوا الله حق التشريع لعباده ، وحكموا في اليهود بتشريع من وضع زبالة أذهانهم ونحاتة أفكارهم ، وهذا الفعل من الكفر البواح والشِرك الصُراح والطُغيان علي ما أختص به الرحمن – كما تقدم – .

ويقال فيهما كما قيل في آية **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** ، أن التارك للحكم يكون ظلمه وفسقه مُخرجين من المِلة إذا كان تركه من **الصورة الشركية التشريعية** التي تتضمن ترك الحُكم ثم مُنازعة الله حق التشريع لعباده ، وإشراك غير الله معه في الحُكم ، وذلك مثل ما فعله اليهود في سبب نزول هذه الآيات .
وقد يكون ظلمه وفسقه غير مُخرجين من الملة إذا كان تركه من **صورة الظلم والجور** والتي لا تتضمن التشريع مع الله ولا إشراك غيره معه في الحُكم ، كما كان يحصل من حُكام الجور من بني أُمية الذين كفرهم الخوارج ، فرد عليهم السلف الصالح ..

والله أعلم .

الشبهة الثالثة : –

قال تعالي : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة ٥٠) .
قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : **(ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم الياسق ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله**

صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير) إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال أيضاً في **الإجماع** الذي نقله في **(البداية والنهاية)** (١٣/ ١١٨-١١٩) : **(فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه !، من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين .)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الشيخ محمد حامد الفقي عند تعليقه علي تفسير ابن كثير لآية المائدة أعلاه في حاشية كتاب **(فتح المجيد)** (ص٤٠٦) : **(ومثل هذا وشر منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو بلا شك كافرٌ مرتدٌ إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله. ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها)** . إنتهي كلامه رحمه الله .

فهذا دلالة علي أن الحكم بالتشريعات الوضعية والتحاكم إليها لا يكون كفراً أكبر إلا بتقديمه علي حكم الله ورسوله ، وتقديمه يعني تفضيله ، لأن التقديم معناه التفضيل ، فلابد للحاكم بالقوانين الوضعية أن يقول (هي أفضل من حكم الله) حتي يصير فعله كفراً أكبر !!

الرد :

والرد علي هذه الشبهة يكون من وجهين :

الوجه الأول : –

هذه الشبهة تدل علي عظيم الجهل باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ..

فمن الذي قال أن التقديم بمعني التفضيل ؟!!

فالتقديم من قدم الشيئ إذا جعله أولاً ، وضده التأخير .. ومنه المُقدمة وضدها المؤخرة .

ولا يلزم من تقديم الشيئ تفضيله علي غيره ، أو أنه أفضل من غيره ..

نقول مثلاً : مُقدمة الجيش ومُؤخرة الجيش ، ولا يلزم أن تكون مُقدمة الجيش هي **أفضل** فرقة في الجيش أو أنها **مُفضلة** علي غيرها من فِرق الجيش ..

إذ قد تكون مقدمة الجيش هي أسوأ فرق الجيش كلها وليست **بأفضلها !!** ومع هذا فهي مُقدمة علي غيرها من فِرق الجيش أي **جُعلت أولاً** في مُقابلة العدو !

وهذا واضح والحمد لله ..

وحتي في كلام الله جل وعلا يأتي ذكر **تقديم** الشيئ ولا يلزم من ذلك **تفضيله** علي غيره أو أنه **مُفضل علي غيره** .. ومن ذلك :

قوله تعالي عن الطاغوت فرعون : **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨))** (هود).
ففرعون يتقدم قومه يوم القيامة حتي يدخلهم النار ، وفرعون **أسوأ** قومه علي الإطلاق وليس **بأفضلهم** ! فهو الذي يقودهم إلي النار بسبب إتباعهم له .. ومع هذا هو **مُقدم** !!

قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه لآية : **(قوله تعالى: (يقدم قومه يوم القيامة) يعني أنه يتقدمهم إلى النار إذ هو رئيسهم . يقال: قدمهم يقدمهم قدماً وقدوماً إذا تقدمهم. (فأوردهم النار) أي أدخلهم فيها.)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الإمام الشوكاني في **(فتح القدير)** عند تفسيره لنفس الآية : **((يقدم قومه يوم القيامة) من قدمه بمعنى تقدمه: أي يصير متقدماً لهم يوم القيامة سابقاً إلى عذاب النار كما كان يتقدمهم في الدنيا (فأوردهم النار) أي إنه لا يزال متقدماً لهم وهم يتبعونه حتى يوردهم النار .)** إنتهي كلامه رحمه الله .

فهل يا تري فرعون هو **أفضل** قومه لذلك **تقدمهم** ؟! أم هو **مُفضل** عند الله لذلك جعله **مُقدماً** علي قومه يقودهم إلي النار ؟!!
سبحان الله كيف يفعل الجهل بأصحابه .. وكيف يطمس الله أبصار قومٍ وبصائرهم بجدالهم عن الطواغيت والمُشركين ..

وقوله تعالي : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** (**الحجرات ١**) .
فالله جل وعلا نهي الصحابة رضوان الله عليهم أن يجعلوا أقوالهم أو أفعالهم مُقدمة علي قول الله أو قول رسوله عليه الصلاة والسلام ، أي أمرهم أن يجعلوا قول الله وقول رسوله **أولاً** وأقوالهم وأفعالهم تابعة له .

قال الإمام ابن كثير نفسه في تفسير هذه الآية : **(أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه ، أي قبله ، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور . حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن: (بمَ تحكم ؟) قال: بكتاب الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: (فإن لم تجد ؟) قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال صلى الله عليه وسلم: (فإن لم تجد ؟) قال رضي الله عنه : أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم). وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه . فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله.)**
إنتهي كلامه رحمه الله .
لله در الإمام ابن كثير رحمه الله ، فكلامه هنا أوضح من نارٍ علي علم ، فالتقديم هو **البدء بالشيئ أولاً** كما هو واضح من كلامه ، لذلك إستدل بحديث مُعاذ رضي الله عنه .

وقال الشيخ الشنقيطي في تفسيره (**أضواء البيان**) عند هذه الآية : (**والمعنى لا تتقدموا أمام الله ورسوله : فتقولوا في شيء بغير علم ولا إذن من الله، وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله ، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً تشريع ما لم يأذن به الله وتحريم ما لم يحرمه ، وتحليل ما لم يحلله ، لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله .**) إنتهي كلامه رحمه الله .

وكلامه واضح رحمه الله في أن مُجرد التشريع مع الله هو من **التقديم** بين يدي الله ورسوله ، ولا يُشترط أن يقول المُشرِّع : (**أنا أقدمه أو أفضله**) ، فمُجرد وضع التشريع **تقديم** ..

فإذا كان **التقديم** بمعني **التفضيل** – كما يدعي مطموسي البصائر – في هذه الآية ، فمعناه أن الله نهي الصحابة عن تفضيل أقوالهم علي قول الله وقول النبي عليه الصلاة والسلام !

أي أنهم كانوا يفضلون أقوالهم فيرونها أفضل من قول الله جل وعلا وقول ورسوله عليه الصلاة والسلام !! فنهاهم الله عن ذلك !!!

ومُحال في حق الصحابة – الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه – أنهم فكروا في ذلك أصلاً !! .. لأن هذا من الكفر البواح الذي لا يخفي علي أحد ، ناهيك عن صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم !!!

ومن قال بأن الصحابة كانوا يرون أن أقوالهم **أفضل** من قول الله جل وعلا وقول النبي عليه الصلاة والسلام ، فهو **رافضيٌ مُرتدٌ كافرٌ** عدوٌ لله ولرسوله وللمؤمنين ..

فنعوذ بالله من الضلالة ، ونعوذ بالله من الخُذلان ..

فخلاصة القول أن التقديم ليس بمعني التفضيل ، بل هو بمعني جعل الشيئ أولاً أو البدء به أولاً ، فذلك ما عناه الإمام ابن كثير والشيخ محمد حامد الفقي في أن التتار والحاكمين بالقوانين الوضعية قدموا الحُكم بالياسق وبالقوانين الوضعية علي الحكم بالكتاب والسنة ، **أي أنهم في قضاياهم ووقائعهم يبدأون بالحكم بها والرجوع إليها أولاً قبل الكتاب والسنة** . وهذا واضح ولله الفضل والمِنة .

وقول هذين العالِمين الجلِيلين – **خاصةً الإجماع** – من أقوي الأقوال في مسألتنا هذه – **التشريع مع الله والحكم بذلك التشريع** – التي هي موضع الخِلاف ، لذلك ما أستطاع مطموسي البصائر المُجادلون عن الطواغيت ردها إلا بمثل هذا الجهل والهَذَيان والتخرُّصات التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع .

فالحمد لله القائل : (**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**) (**الفرقان ٣٣**) .

الوجه الثاني : –

مقولة أن (**التشريعات الوضعية أفضل من شرع الله !**) هي في حد ذاتها كفر أكبر مستقلٌ بذاته ، سواءٌ أقالها حاكم أو واحد من الرعية ، فليس لها علاقة بأن الذي يقولها حاكم بتشريع وضعي أو لا ..

فلو قالها قائل – أياً كان ذلك القائل – فهو كافر كفراً أكبر مُخرج من المِلة بنفس هذا القول لأنه قول مُكفر ، فقائلها مُكذب بصريح أدلة القرآن والسنة التي تبين أن أفضل الحديث كلام الله ورسولُه ، والمكذِّب لأي دليل من القرآن أو السنة فهو كافر .

بل لو قالها **حاكمٌ مُسلمٌ عادلٌ يحكم بالشريعة الإسلامية** وهي مرجعه في جميع القضايا والأحكام ، لصار **مُرتداً كافراً** بهذا القول نفسه ..

قال تعالي : **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)** (الزمر ٢٣)

وعَنْ جَابِرٍ بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ النَّاسَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يَقُولُ (مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَخَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ)) . رواه مُسلم .

فهذان نصان صريحان في أن أحسن الحديث كتاب الله الذي أنزله علي رسوله عليه الصلاة والسلام ، فالذي يقول أن التشريعات الوثنية الوضعية أحسن وأفضل من شرع الله فهو كافر لتكذيبه لهذين النَّصين .

فلماذا إذن يجعل المُجادلون عن الطواغيت هذه المقولة **شرطاً** لكي يصير التشريع مع الله أو الحُكم بذلك التشريع الشركي الوضعي كُفراً أكبر ؟!!

فهي في حد ذاتها كفرٌ مُستقل بذاته ، والتشريع مع الله كُفر مُستقل بذاته ، والحُكم بالتشريع الشركي الوضعي الذي يُحل الحرام ويحرم الحلال ويُرخص للكفر ويعطل الحدود الشرعية ويُغيرها كفرٌ مُستقل بذاته ، والتحاكم لذلك التشريع الشركي الوضعي كُفر مُستقل بذاته ..
إذ أرتكب الإنسان أي واحد من هذه النواقض فقد وقع في الكُفر الأكبر ، ولا يُشترط أن يرتكبها كُلها حتي نقول أنه وقع في الكُفر !

وهذه النقولات عن ابن كثير ومحمد حامد الفقي رحمهما الله – **خاصةً الإجماع** – هي في إثبات أن الحُكم بالتشريعات الوضعية الشركية أو التحاكم والرجوع إليها كفرٌ أكبر مُخرج من ملة الإسلام ..
وليس في إثبات أن الحاكم بالتشريعات الوضعية وقع في الكفر الأكبر لأنه يقول : **(التشريعات الوضعية أفضل من شرع الله!)** ..
فتأمل ذلك فهو واضح والحمد لله .

الشبهة الرابعة : –

قال تعالي : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) (النساء ٦٠) .

في هذه الآية بيَّن الله أن الحاكم بغير ما أنزل الله طاغوت ، ولكن قد يكون طاغوتاً مُسلماً !! وليس بالضرورة أن يكون كُل طاغوت كافر !! لأننا قد نسمي الحجر والشجر والصليب طاغوتاً ومع هذا لا نقول بأن أياً من هذه الأشياء كافر !!!

والطاغوت يدخل فيه كُل معبود من دون الله ، وبعض الرسل قد عُبد من دون الله ! ، فهل هم كُفار ؟!! .

والذين تحاكموا إلي الطاغوت شابهوا المُنافقين في صفة من صفاتهم ، ومُشابهة المُنافقين في صفاتهم ليست بالضرورة أن تكون كفراً أكبر ، فمن صفاتهم أنهم إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا كما بينت السُنة ، فهل الذي يُشابههم في هذه الصفات كافر !! إذن فمن شابههم في صفة التحاكم للطاغوت لا يكون كافراً !!

الرد :

قبل الشروع في قراءة الرد علي هذه الشبهة ، يجب مُراجعه ما نقلته من أدلة وأقوال للسلف الصالح في الطاغوت وما يتعلق به في رسالتي (**الرماح السَّمهريَّة** (١)) لتعرف مدي جهل هؤلاء المُجادلين عن الطواغيت بمفهوم الطاغوت في الكتاب والسُنة وأقوال السلف الصالح من الأُمة ..

فهذه الشبهة مكونة من ثلاثة أقسام ، سنرد علي كل قسم منها – بإذن الله – علي حِده :

القِسم الأول : وهو قولهم : **(في هذه الآية بيَّن الله أن الحاكم بغير ما أنزل الله طاغوت ، ولكن قد يكون طاغوتاً مُسلماً !! وليس بالضرورة أن يكون كُل طاغوت كافر !! لأننا قد نسمي الحجر والشجر والصليب طاغوتاً ومع هذا لا نقول بأن أياً من هذه الأشياء كافر !!!)**

هذا القول يدل علي جهل قائليه بالتوحيد الذي بُعثت به الرسل والذي هو أصل الدين وأُسه ورأسه وقُطب رحاه ، وسيتبين جهلهم فيما يلي ، فأقول :

إن الله أرسل الرسل ليأمروا الناس بالكُفر بالطاغوت وأجتنابه والإيمان بالله وحده ، وجعل الكُفر بالطاغوت شرطاً في تحقيق العروة الوثقي التي هي كلمة التوحيد **(لا إله إلا الله)** كما بيَّن أهل العلم ، فمن لم يكفر بالطاغوت فهو مُشركٌ كافر قد برئ من التوحيد وبرئ التوحيد منه ..

قال تعالي : **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)** (النحل ٣٦) ..

وقال تعالي : **(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** (البقرة ٢٥٦) .

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الأخيرة : **(أي من خلع الأنداد والأوثان ، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، ووحد الله فعبده وحده ، وشهد أنه لا إله إلا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي فقد ثبت في أمره ، واستقام على الطريق المثلى ، والصراط المستقيم)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الشيخ السعدي في تفسيره لنفس الآية : **(ذكر الله انقسام الناس إلى قسمين قسم آمن بالله وحده لا شريك له وكفر بالطاغوت وهو كل ما ينافي الإيمان بالله من الشرك وغيره فهذا قد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها بل هو مستقيم على الدين الصحيح حتى يصل به إلى الله وإلى دار كرامته .. ويؤخذ القسم الثاني من مفهوم الآية أن من لم يؤمن بالله بل كفر به وآمن بالطاغوت فإنه هالك هلاكاً أبدياً ومعذب عذاباً سرمدياً)** إنتهي كلامه رحمه الله .

والطاغوت هو الذي جعل لنفسه بعض ما أختص به الله جل وعلا من خصائص الربوبية أو الألوهية ، أو جعل له الناس تلك الخصائص ولم يكن كارهاً لذلك ، ويسمي أيضاً **الند والشريك** وجمعها **أنداد وشُركاء ..**

فمن هؤلاء الطواغيت الذين أُمرنا بالكفر بهم وأجتنابهم لتحقيق التوحيد ، من جعل لنفسه حق التشريع ، فأشرك نفسه مع الله في التشريع للعباد والتحليل لهم والتحريم عليهم ، ووضع لهم تشريعاً وديناً يسيرون عليه في أحكامهم ومُعاملاتهم وسلوكهم وسائر شؤون حياتهم ، وألزمهم به وعاقب من خرج عليه وخالفه .

قال تعالي : **(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (الشورى ٢١) ..

فهذه الآية تحكي حال مُشركي قُريش في إتباعهم للطواغيت المُشرِّعين في التحليل والتحريم وغير ذلك .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : **(أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأقوال الفاسدة.)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال تعالي : **(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)** (التوبة ٣١) ..

وهذه الآية تحكي حال اليهود والنصاري لما أطاعوا أحبارهم ورهبانهم في التشريع ، فرفعوهم بذلك لمرتبة الربوبية ، لأن التشريع من خصائص الربوبية التي إختص بها الله وحده لا شريك له .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه **(التوحيد الذي هو حق الله علي العبيد)** : **(باب من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله فقد إتخذهم أرباباً من دون الله)** .

وقال الشيخ العلامة محمد خليل هرَّاس في كتابه **(شرح العقيدة الواسطية)** (ص ٥٩ – طبعة دار الأمام أحمد) : **(وحرَّم – أي الله تعالي – أن يتخذوا من دونه سبحانه أولياء يُشرعون لهم من الدين مالم يأذن به الله في عباداتهم ومعاملاتهم ، كما فعل أهل الكتاب مع الأحبار والرهبان حيث اتخذوهم أرباباً من دون الله في التشريع فأحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله فاتبعوهم في ذلك)** . إنتهي كلامه رحمه الله .

ومن هؤلاء الطواغيت الذين أُمرنا بالكفر بهم وأجتنابهم لتحقيق التوحيد ، من دعا الناس لعبادته أو صُرف له أي نوع من أنواع العبادة ولم يكن كارهاً لذلك ، وهو الطاغوت المَعبود من دون الله الذي تكرر ذكره في القرآن الكريم كما في قوله تعالي : **(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ)** (الزمر١٧) . فالطاغوت المذكور هنا هو ما عُبد من دون الله ، بقرينة **(أَنْ يَعْبُدُوهَا)** ..

كذلك في قوله تعالي : **(قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)** (المائدة٦٠) .

لذلك عرف أهل العلم من السلف الصالح بأن الطاغوت هو المعبود من دون الله ..

قال الإمام مالك : **(الطاغوت كل ما عبد من دون الله)** . ذكره ابن كثير في تفسيره .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٢٨/٢٠١) : **(فالمعبود من دون الله اذا لم يكن كارهاً لذلك طاغوت)**.

قال النووي في شرح صحيح الإمام مسلم (٣/١٨) : **(قال الليث والكسائي وأبو عبيدة وجماهير أهل اللغة الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى)** .

ومن هؤلاء الطواغيت المعبودين من دون الله والذين أمرنا الله بالكُفر بهم واجتنابهم لتحقيق التوحيد ، الحاكم الذي يحكم بتشريع غير شرع الله ، سواءٌ أكان هذا التشريع من وضعه هو أو من وضع غيره من الطواغيت المُشرِّعين أو كان شريعة منسوخة كالتوراة والإنجيل ، فهو الذي صُرفت له عبادة التحاكم والتنازع إليه وإلي تشريعه الذي يحكم به ، وهو المذكور في هذه الآية :

قال تعالي : **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)** (النساء ٦٠) .

قال مجاهد تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما : **(الطاغوت الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه ، وهو صاحب أمرهم)** . ذكره ابن كثير في تفسيره .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٢٨/٢٠١) : **(ولهذا سُمى من تُحُوكِم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت)** .

وقال ابن القيم في كتابه **(إعلام الموقعين)** (١/٥٠) : **(والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم هو من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو من يعبدونه من دون الله أو يتبعونه علي غير بصيرة من الله أو يطيعونه في ما لا يعلمون أنه طاعة لله)** .

قال ابن كثير في تفسيره لآية **(النساء ٧٦)** : **(قال أبو عبيدة والكسائي: الطاغوت يذكر ويؤنث . قال أبو عبيد : وإنما ذكر وأنث لأنهم كانوا يسمون الكاهن والكاهنة طاغوتاً . قال : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: حدثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله سئل عن الطاغوت التي كانوا يتحاكمون إليها فقال : كانت في جهينة واحدة وفي أسلم واحدة ، وفي كل حي واحدة.)** إنتهي كلامه رحمه الله .

فهذا الطاغوت هنا هو الحاكم في **الصورة الشركية التشريعية** ، والذي يحكم بتشريع باطل غير شرع الله يُحل الحرام أو يُحرم الحلال أو يُرخص للكُفر أو يغيِّر أحكام الشريعة الإسلامية وحدودها ، فيتحاكم الناس إليه وإلي

تشريعه هذا **فيصرفون له عبادة التحاكم والتنازع إليه** وإلي تشريعه الشركي الوضعي وبهذا صار هو وتشريعه **طواغيت** تُعبد من دون الله .

وهي نفس صورة سبب نزول هذه الآية : **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)** (النساء ٦٠) .

فالطاغوت في هذه الآية هو كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يحكم بالتوراة وهي شريعة منسوخة .. وفي رواية أنه كاهن في جُهينة ، والكُهان يحكمون بشرائع الجاهلية وعاداتها الموروثة عن الآباء والأجداد .

أما الحاكم في صورة الظُلم والجور **فلا يُسمي طاغوت أصلاً** ، لأنه لم يُنازع الله فيما اختص به .. فلم يُنازعه في تشريع ولا تحليل ولا تحريم ولم يحكِّم غير الله – من الطواغيت المُشرِّعين – في البلاد وبين العِباد .. فكيف يُسمي طاغوتاً وهو لم ينازع الله في شيئٍ من هذا ؟!!

بل هو حاكمٌ مسلمٌ لكنه عاصٍ لله جل وعلا بظلمه وتحايله عند **تطبيق الأحكام الشرعية** في بعض القضايا والوقائع .

والطواغيت عامةً إما أن يكونوا عاقلين أي من الجن والأنس المُكلفين بالعبادة والخطاب الشرعي ، فهؤلاء الذين يطلق عليهم الأسماء الشرعية كاسم الكافر وما يترتب عليه من أحكام كأحكام الولاء والبراء وغير ذلك ..

وكل طاغوت عاقل من الجن والأنس نازع الله في ربوبيته والوهيته فهو **كافر** ، وإن كان ممن يدعي الإنتساب للإسلام فهو **مُرتدٌ كافرٌ ليس من أُمة الإسلام** ..

والدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام : **(يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها) جزء من حديث طويل متفق عليه من حديث أبي هريرة .**

فهذا نص صريح واضح في أن الطواغيت وعبيدهم ليسوا من أمة الإسلام ، بل يُفارقونهم إلي النار ، ولو كان الطواغيت مُسلمين لبقوا في أمة الإسلام ولم يفارقوهم ، فلما فارقوهم دل ذلك علي أنهم **كفار** وحطب للنار ووقودها ..

قال ابن رجب في **(فتح الباري)** عند شرحه لهذا الحديث : **(وفي الحديث دليل على أن المشركين الذين كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله ألهة يتبعون ألهتهم التي كانوا يعبدون يوم القيامة فيردنهم النار ، كما قال تعالى في حق فرعون : (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) . ويبقى من كان يعبد الله وحده ظاهراً ، مؤمناً كان أو منافقاً ، فهؤلاء ينظرون من كانوا يعبدونه في الدنيا ، وهو الله وحده لا شريك له .)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال ابن حجر في **(فتح الباري)** عند شرحه للحديث : **(وَوَقَعَ فِي حَدِيث أَبِي سَعِيد الْآتِي فِي التَّوْحِيد (فَيَذْهَب أَصْحَاب الصَّلِيب مَعَ صَلِيبهمْ ، وَأَصْحَاب كُلّ الْأَوْثَان مَعَ أَوْثَانهمْ ، وَأَصْحَاب كُلّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ) وَفِيهِ إِشَارَة إِلَى أَنَّ كُلّ مَنْ كَانَ يَعْبُد الشَّيْطَان وَنَحْوه مِمَّنْ يَرْضَى بِذَلِكَ أَوْ الْجَمَاد وَالْحَيَوَان دَالُّونَ فِي ذَلِكَ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ يَعْبُد**

مَنْ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْمَسِيح فَلَا ، لَكِنْ وَقَعَ فِي حَدِيث اِبْن مَسْعُود (فَيَتَمَثَّل لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَنْطَلِقُونَ) وَفِي رِوَايَة الْعَلَاء بْن عَبْد الرَّحْمَن (فَيَتَمَثَّل لِصَاحِبِ الصَّلِيب صَلِيبُهُ وَلِصَاحِبِ التَّصَاوِير تَصَاوِيرُهُ))

وقال : **(قَوْله (وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّة) . قَالَ اِبْن أَبِي جَمْرَة : يَحْتَمِل أَنْ يَكُون الْمُرَاد بِالْأُمَّةِ أُمَّة مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَحْتَمِل أَنْ يُحْمَل عَلَى أَعَمّ مِنْ ذَلِكَ فَيَدْخُل فِيهِ جَمِيع أَهْل التَّوْحِيد حَتَّى مِنْ الْجِنّ ، وَيَدُلّ عَلَيْهِ مَا فِي بَقِيَّة الْحَدِيث أَنَّهُ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُد اللَّه مِنْ بَرّ وَفَاجِر.)**

وقال : **(قَالَ اِبْن أَبِي جَمْرَة : لَمْ يَذْكُر فِي الْخَبَر مَآل الْمَذْكُورِينَ ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ مِنْ الْمَعْلُوم أَنَّ اِسْتِقْرَارَ الطَّوَاغِيت فِي النَّار عُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ مَعَهُمْ فِي النَّار كَمَا قَالَ تَعَالَى (فَأَوْرَدَهُمْ النَّارَ) . قُلْت : وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَة سُهَيْل الَّتِي أَشَرْت إِلَيْهَا قَرِيبًا (فَتَتْبَع الشَّيَاطِينَ وَالصَّلِيبَ أَوْلِيَاؤُهُمْ إِلَى جَهَنَّم) ، وَوَقَعَ فِي حَدِيث أَبِي سَعِيدٍ مِنْ الزِّيَادَة (ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيُقَال لِلْيَهُودِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ) الْحَدِيث . وَفِيهِ ذِكْر النَّصَارَى ، وَفِيهِ (فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّم حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُد اللَّه مِنْ بَرّ أَوْ فَاجِر) ، وَفِي رِوَايَة هِشَام بْن سَعْد عَنْ زَيْد بْن أَسْلَمَ عِنْد اِبْن خُزَيْمَةَ وَابْن مَنْدَهْ وَأَصْله فِي مُسْلِم (فَلَا يَبْقَى أَحَد كَانَ يَعْبُد صَنَمًا وَلَا وَثَنًا وَلَا صُورَة إِلَّا ذَهَبُوا حَتَّى يَتَسَاقَطُوا فِي النَّار))** .

إنتهي كلامه رحمه الله .

فكل طاغوت عاقل من الجن أو الإنس المُكلفين فهو كافر بالله العظيم ليس بمُسلم ولا من أمة الإسلام وإن إدعي الإنتساب إليها .

وإما أن يكون الطواغيت غير عاقلين كالأحجار والأشجار والحيوانات والجمادات كالصليب والتماثيل والتصاوير ، فهذه تُسمي **طواغيت** وهي أيضاً حطب جهنم ووقودها – كما تقدم – ولكن لا يطلق عليها الأسماء الشرعية كاسم المُسلم والكافر والمُنافق والفاسق ، لأن هذه الأسماء الشرعية وما يترتب عليها من أحكام شرعية من ثواب وعقاب وغير ذلك تُطلق علي المُكلفين بالخطاب الشرعي من الجِن والإنس ، وهذه الأشياء غير العاقلة لم يُكلفها الله بالخطاب الشرعي الذي كُلف به الجن والإنس !!

قال تعالي : **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)** (الأحزاب ٧٢) .

والأمانة هنا هي أمانة التكليف بالخطاب الشرعي ، أي التكليف بأوامر الدين ونواهيه وفرائضه وأحكامه وحدوده ..

قال الإمام الشوكاني في **(فتح القدير)** عند تفسير هذه الآية : **(واختُلف في تفسير هذه الأمانة المذكورة هنا، فقال الواحدي: معنى الأمانة ههنا في قول جميع المفسرين الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب . قال القرطبي: والأمانة تعم الجميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال ، وهو قول الجمهور.)** إنتهي كلامه رحمه الله .

فكيف إذن يُشبَّه الطواغيت الكُفار من الجن والإنس المُكلفين ، بالطواغيت غير المُكلفين من الحجر والشجر وغير ذلك !!

نعوذ بالله من الجهل وطمس البصيرة ..

فاجعل لقلبك مُقلتين كلاهما من خشية الرحمن باكيتانِ

لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمنِ

القسم الثاني : وهو قولهم : **(والطاغوت يدخل فيه كُل معبود من دون الله ، وبعض الرسل قد عُبد من دون الله ! ، فهل هم كُفار ؟!!)** .

أما هذا القول فمن الجهل والجرأة علي دين الله ورُسله وأنبيائه ..

فمعلوم أن هناك من الرسل والصالحين من قد عُبد من دون الله ، كعيسي بن مريم وأمه الصديقة وعُزير والملائكة وحتي رسولنا محمد صلي الله عليه وسلم ..

لكنهم لم يطلبوا من الناس عبادتهم ولا ألزموهم بها ، ولما عبدهم الناس لم يرضوا بذلك – وحاشاهم أن يرضوا – بل كرهوها وأنكروها ..

فهؤلاء **لا يُسموا طواغيت أصلاً !** ، لأن الطواغيت أمرنا الله **بالكُفر بهم واجتنابهم** ، والرسل أمرنا الله **بالإيمان بهم ونصرتهم** ، فمحال إذن أن يُسمي الرُسل طواغيت ..

بل الطاغوت هنا هو الشيطان الذي زيَّن للناس عبادتهم من دون الله .

لذلك وضع أهل العِلم من السلف الصالح شرطاً في تعريف الطاغوت الذي عُبد من دون الله – وليس الذي دعا لعبادة نفسه والزم الناس بعبادته من دون الله ! – وهو أن يكون راضياً غير كارهاً لعبادة الناس له ..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٢٨/٢٠١) : **(فالمعبود من دون الله اذا لم يكن كارهاً لذلك طاغوت)** .

فكيف إذن يُقاس حال من عُبد من دون الله ولم يرضي بذلك من النبيين والصديقيين والشُهداء والصالحين ، بحال هؤلاء الطواغيت الحاكمين والمُشرِّعين الذين ألزموا الناس بطاعتهم في تشريعاتهم الباطلة والتحاكم لقوانينهم الفاسدة ، وعاقبوا من خرج عليها وخالفها .. ؟!!

والله ما التقيا ولن يتشابها حتي تشيب مفارق الغِربان

وقد فصلت في هذه النقطة بالأدلة الشرعية في رسالتي **(الرماح السَّمهريَّة (١))** ، فلتُراجع .

القسم الثالث : وهو قولهم : **(والذين تحاكموا إلي الطاغوت شابهوا المُنافقين في صفة من صفاتهم ، ومُشابهة المُنافقين في صفاتهم ليست بالضرورة أن تكون كفراً أكبر ، فمن صفاتهم أنهم إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا كما بينت السُنة ، فهل الذي يُشابههم في هذه الصفات كافر !! إذن فمن شابههم في صفة التحاكم للطاغوت لا يكون كافراً!!)**

أما هذه الشُبهة فهي في الذين يتحاكمون للطواغيت ، وليست في **الطواغيت الحاكمين** أنفسهم ، والمُراد منها التلبيس علي المُسلمين في أصل التوحيد وأن صرف عبادة التحاكم للطواغيت ليس بكُفر وشِرك مُخرج من الملة !! بحجة أنه مُشابهة للمُنافقين ، ومشابهة المُنافقين في صفاتهم – حسب زعمهم – ليس بكفر أكبر ! .

وهذا القول – **الذي هو من نحاتة أفكارهم وليس لهم فيه سلفٌ صالح** – ليس علي إطلاقه ..

فبالنسبة للمنافقين ، معلوم أن من صفاتهم ما هو كُفر أكبر كبغض الرسول عليه الصلاة والسلام وإيذائه والطعن في أهل بيته وبُغض دين الإسلام والكراهية لإنتصار دين المُسلمين والمسرة لإنهزام دين المُسلمين ومُناصرة الكُفار علي المُسلمين.

ومنها ما هو معصية غير مُخرجة من الملة كالكذب في الحديث وإخلاف الوعد وخيانة الأمانة والفجور في الخصومة ..

فمن شابههم في صفاتهم المُكفرة فقد وقع في الكفر الأكبر ، ومن شابههم في صفاتهم غير الُكفرة فقد وقع في المعصية الغير مُخرجة من الملة .. وهذا واضح والحمد لله .

مع مُلاحظة أن الذي يرتكب هذه الصفات المُكفرة فهو يكفر بسبب نفس الناقض وليس لأنه شابه المُنافقين ، أي أن الذي يؤذي الرسول عليه الصلاة والسلام – مثلاً – نقول أنه كافر بسبب إيذائه للرسول وليس بسبب مُشابهته للمُنافقين . كما هو مذهب أهل السُنة والجماعة في التكفير بسبب الكُفر وليس بنوع الكُفر .

وصفة التحاكم للطاغوت من الصفات المُكفرة التي من شابه المُنافقين فيها فقد وقع في الشرك الأكبر المُخرج من الملة ، لأنها من الإيمان بالطاغوت وعدم الكفر به ، بل من صرف العبادة له .. بقرينة **(يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ)** ، فتحاكمهم للطاغوت عدم كفر بالطاغوت ، وعدم الكفر بالطاغوت نقضٌ للتوحيد الذي هو العروة الوثقي وأصل الدين وقطب رحاه ، لأنه لا يجتمع إيمان بالله وإيمان بالطاغوت في شخص واحد حتي يلج الجمل في سَمِ الخِياط ..

لذلك بيَّن الله جل وعلا أن إيمان المُتحاكمين للطاغوت مُجرد زعم .. بقرينة **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ)** ، والزعم هو الإدعاء الكاذب الذي لا تسنده الأدلة والبراهين ..

كما قال تعالي عن الكفار الذين أنكروا البعث : **(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)** (التغابن ٧) .

فزعم الكُفار أنه لا يوجد بعث بعد الموت كان مُجرد إدعاء كاذب لا يقوم علي دليل ولا تُسنده حُجه ..

وكذلك إدعاء المُتحاكمين للطاغوت الإيمان والإسلام إدعاءٌ كاذب ، فهم في حقيقة أمرهم مؤمنون بالطاغوت كافرون بالله العظيم ..

طبعاً هذا علي العموم ، أما عند إرادة تنزيل الحُكم بالكفر علي المُعيَّنين لتحاكمهم للطاغوت لابد من توفر شروط التكفير وإنتفاء موانعه في حقهم ، وإقامة الحجة عليهم وإزالة الشبهة عنهم إن كانوا معذورين بالجهل المُعتبر شرعاً أو التأول المُستساغ ، فإن أصروا علي التحاكم للطاغوت بعد ذلك كفروا علي التعيين ، كما هو معلوم من أصول أهل السُنة والجماعة ..

ونلاحظ في هذه الآية **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)** ، أن الله حكم علي من نزلت فيهم بأنهم مؤمنون بالطاغوت كافرون بالله يزعمون الإيمان ، بمجرد إرادتهم أن يذهبوا ليتحاكموا للطاغوت ، أي كفَّرهم حتي قبل أن يتحاكموا للطاغوت ، لأن مُجرد إرادة فعل الكُفر كُفر ..

فمثلاً من أراد الذبح لغير الله أو الطواف بالقبور أو دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فهو كافر بمُجرد هذه الإرادة حتي قبل أن يفعل هذه الأفعال الشركية .. لذلك أصطلح العلماء علي القاعدة الشرعية المعروفة **(العازم علي الكُفر مُستقبلاً كفر حالاً)** .

وكما قلنا في أول هذا القسم أن هذه الشُبهة في المُتحاكمين للطاغوت ، وليس في الطواغيت الحاكمين أو المُشرِّعين أنفسهم الذين هم موضوع الخِلاف .

الشبهة الخامسة : –

الحكم بغير ما أنزل الله معصية لا تصير كُفراً أكبر إلا بالجحود أو الإستحلال !!

الرد :

ورد هذه الشُبهة يكون من أربعة وجوه :

الوجه الأول : –

ما الدليل من كلام الله جل وعلا أو كلام رسوله عليه الصلاة والسلام أو إجماع سلف الأمة الأعلام علي هذا القول ؟!

أما أقوال أهل العلم المُجردة من الأدلة فليست بحجة يُحتج بها .

الوجه الثاني : –

كما بينتُ من قبل فأن الحُكم بغير ما أنزل الله يتضمن صورتين :

١/ **الصورة الشركية التشريعية** : فهذه الصورة من النواقض – كما تقدم – فاعلها واقعٌ في الكُفر الأكبر ، لأنها تتضمن مجموعة من النواقض التي يكفر صاحبها بمُجرد فعلها – حتي وأن لم يجحد أو يستحل – كما هو مذهب أهل السُنة والجماعة في مُرتكب الناقض من نواقض الإسلام .
وهي صورة الطواغيت الحاكمين أو المُشرعين الموجودين اليوم ، لذلك هم واقعون في الكُفر الأكبر حتي وإن لم يجحدوا أو يستحلوا حكمهم أو تشريعهم لهذه التشريعات الوثنية ، فإن جحدوا أو إستحلوا فقد إزدادوا كُفراً فوق كُفرهم وشركاً فوق شركهم وردةً فوق ردتهم ، لأن الكُفر يزيد كما هو مذهب أهل السُنة والجماعة .

٢/ **صورة الظُلم والجور** : وهي ليست من الكُفر الأكبر بل من الكبائر التي لا يخرج صاحبها من الإسلام – كما تقدم – ، فهذه التي يُشترط للتكفير بها **الجحود أو الإستحلال** أو التكذيب أو التفضيل أو غير ذلك من أنواع الكُفر ، كما هو مذهب أهل السُنة والجماعة في مُرتكب الكبيرة غير المُكفرة .

فالجحود أو الإستحلال لا تُشترط في الصورة الشركية التشريعية التي هي موضوع الخِلاف والتي هي صورة الطواغيت الموجودين اليوم ، لأنها تتضمن نواقض للإسلام ، ونواقض الإسلام لا يُشترط لتكفير فاعلها الجحود أو الإستحلال كما هو مذهب أهل السُنة والجماعة .

الوجه الثالث : –

كما قلت في شبهة **(التقديم بمعني التفضيل)** فإن الجحود والإستحلال نواقض مُستقلة بذاتها ، إذا ارتكبها المُسلم ، سواء أكان حاكماً أو محكوماً فهو كافر بنفس الجحود أو الإستحلال ، لأنها من نواقض الإسلام ..

بل لو كان هذا الجاحد لحكم الله أو المُستحل للحُكم بغيره **حاكماً مسلماً عادلاً يحكم بالشريعة الإسلامية** ، فقد وقع في الكُفر الأكبر المُخرج من المِلة وصار **مُرتداً كافراً** ..

فالجحود هو الإنكار باللسان لما ثبت بالأدلة الشرعية ، وهو كُفر أكبر مُخرج من المِلة ..

قال تعالي : **(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ)** (العنكبوت ٤٧) .
وقال تعالي : **(وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ)** (لقمان ٣٢) .
فالذي يجحد وينكر أي آية من آيات الله فهو كافر .

وكما قلنا فإن الجحود يكون باللسان – أي بالظاهر – وليس بالقلب ، كما قال تعالي عن فرعون وقومه : **(وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤))** (النمل) .

فبيَّن تعالي أن فرعون وقومه إستيقنوا أن هذه آيات الله داخل أنفسهم – أي بقلوبهم – واليقين أعلي درجات العِلم والمعرفة والتصديق ، ولكن مع هذا جحدوها وأنكروها في الظاهر – أي بألسنتهم – وذلك لما قالوا بألسنتهم **(هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)** ، فدل ذلك علي أن الجحود يكون باللسان وليس بالقلب .

فائدة : في هذه الآيات دليلٌ علي أن من أعتقد أن آيات الله حقٌ وصدقٌ واستيقن بها أنها الحق وآمن بها وبأن الخير فيها وفي اتباعها والعمل بها ، لكنه في الظاهر لم ينقد لها وأنكرها ، فإن هذا الإيمان واليقين الذي في قلبه لن ينفعه بل يكون كافراً بالله العظيم كفرعون ، وفي هذا ردٌ علي غُلاة المُرجئة الذين يقولون أن الإيمان إعتقاد القلب دون إنقياد اللسان والجوارح ، وردٌ عليهم في قولهم أن هؤلاء الطواغيت الحاكمين يعتقدون أن الحُكم بشرع الله هو الأفضل والأحسن ، وهم مع هذا يحكمون بشرائع الطاغوت الوثنية .
فلا ينفعهم إيمانهم واعتقادهم هذا حتي ينقادوا له في الظاهر .. فإن لم ينقادوا له فهم كُفار كفرعون .

وكذلك الإستحلال وهو تحليل ما حرَّم الله هو كُفر بالله العظيم ..

قال تعالي : **(إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)** (التوبة ٣٧) .
فالنسيئ هو تحليل للحرام وهو كُفر أكبر بنص الآية ، لأنه من الزيادة في الكُفر كما بيَّن ربُنا جل وعلا .

قال الإمام ابن حزم في كتابه **(الفِصل في الملل والأهواء والنِحل)** (١١٤/٣) تعليقاً علي هذه الآية : **(وبحكم اللغة التي بها نزل القرآن أن الزيادة في الشيء لا تكون البتة إلا منه لا من غيره فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال وهو تحليل ما حرم الله تعالى فمن أحل ما حرم الله تعالى وهو عالم بأن الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه)** إنتهي كلامه رحمه الله .

إذن فما دام أن الجحود والإستحلال نواقض مُستقلة بذاتها فلماذا يجعلها مطموسي البصائر المُجادلون عن الطواغيت **شرطاً** للقول بإن التشريع مع الله أو الحُكم بالتشريعات الشركية الوضعية كُفر أكبر ؟!

الوجه الرابع : –

إذا تنزلنا جدلاً وقلنا أن الإستحلال شرطٌ ليصير التشريع مع الله أو الحُكم بذلك التشريع كُفراً أكبر – ومحال أن يكون شرطاً لذلك كما تقدم – فإن التشريعات الوضعية كالدساتير التي تُحكم بها بلاد المُسلمين اليوم هي عبارة عن قوانين ومواد هي في ذاتها تحليل للحرام – **أي إستحلال** – وتحريم للحلال وترخيص للكُفر ، أليس هذا **إستحلال** يكفر فاعله ؟!!

والطواغيت الحاكمين عموماً لا يرون فقط أنهم يحل لهم تشريع هذه القوانين الشركية الوضعية وتحكيمها في رقاب العِباد ، بل **يُلزمون** المُسلمين بها ويعاقبون من خالفها وخرج عليها ، كما تُبيِّن ذلك دساتيرهم الوثنية . **والإلزام** درجة أعلي من مُجرد أن يروا **حِل** تشريعها والحُكم بها وتحاكم الناس إليها .. **فتأمل** .

نسأل الله الثبات علي الحق .

الشبهة السادسة : –

التشريع مع الله جل وعلا لا يكون كُفراً أكبر إلا إذا نسب المُشرع ذلك التشريع لله جل وعلا ، أي أن يقول أن : (هذا التشريع الذي شرعته من عند الله) ! ، فإن قال ذلك صار فعله كُفراً أكبر !! وإلا فلأ ، كما قال بذلك بعض السلف الصالح حيث اشترطوا ذلك الشرط !

الرد :

والرد علي هذا الجهل يكون من وجهين :

الوجه الأول : –

ما الدليل من كلام الله جل وعلا أو كلام رسوله عليه الصلاة والسلام أو إجماع سلف الأمة الأعلام علي هذا القول ؟!

أما أقوال العُلماء إذا لم تسندها الأدلة فليست بحجة يُحتج بها ، خاصة إذا خالفت الأدلة .

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : (مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ) مُتفق عليه .

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مُسلم عند شرحه لهذا الحديث : **(قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلّ شَرْط لَيْسَ فِي كِتَاب اللَّه فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَة شَرْط) صَرِيح فِي إِبْطَال كُلّ شَرْط لَيْسَ لَهُ أَصْل فِي كِتَاب اللَّه تَعَالَى)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الإمام ابن حجر في **(فتح الباري)** عند شرحه لترجمة البخاري **(بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ شُرُوط الْمُكَاتَب ، وَمَنْ اِشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَاب اللَّه)** ، قال : **(جَمَعَ فِي هَذِهِ التَّرْجَمَة بَيْن حُكْمَيْنِ ، وَكَأَنَّهُ فَسَّرَ الْأَوَّل بِالثَّانِي ، وَأَنَّ ضَابِط الْجَوَاز مَا كَانَ فِي كِتَاب اللَّه ، وَسَيَأْتِي فِي الشُّرُوط أَنَّ الْمُرَاد بِمَا لَيْسَ فِي كِتَاب اللَّه مَا خَالَفَ كِتَاب اللَّه ، وَقَالَ اِبْن بَطَّال : الْمُرَاد بِكِتَابِ اللَّه هُنَا حُكْمُهُ مِنْ كِتَابه أَوْ سُنَّة رَسُوله أَوْ إِجْمَاع الْأُمَّةِ ، وَقَالَ اِبْن خُزَيْمَةَ : لَيْسَ فِي كِتَاب اللَّه أَيْ لَيْسَ فِي حُكْم اللَّه جَوَازه أَوْ وُجُوبه)**

وقال : **(وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ : قَوْله : (لَيْسَ فِي كِتَاب اللَّه) أَيْ لَيْسَ مَشْرُوعًا فِي كِتَاب اللَّه تَأْصِيلًا وَلَا تَفْصِيلًا)** . إنتهي كلامه رحمه الله .

فكل شرطٍ يضعه المُجادلون عن الطواغيت دفاعاً عن الطواغيت وترقيعاً لباطلهم يُطالبون بالدليل عليه من كِتاب الله أو سُنة رسوله عليه الصلاة والسلام أو إجماع سلف الأُمة الأعلام ، وإلا فهو مردود عليهم .

الوجه الثاني : –

نسبة التشريع الشركي الوضعي الباطل إلي الله أو القول أن **(هذا التشريع من عند الله)** ، هو أيضاً كُفر أكبر مُستقل بذاته وهو ما سماه الله في كتابه الكريم **(الإفتراء علي الله الكذب)** أو **(القول علي الله بغير علم)** ، فإن الذي يقول – أياً كان ذلك القائل – أن هذه التشريعات الباطلة هي شرع الله أو هي من عند الله ، فهو **كافرٌ بالله العظيم** ، وإن لم يُشرِّع تشريعاً واحداً ، لأنه أفتري علي الله كذباً .

بل لو قال **حاكمٌ مُسلمٌ عادلٌ يحكم بالشريعة الإسلامية** أن هذه التشريعات الوضعية الشركية التي يحكم بها الطواغيت **(هي من عند الله)** ، لصار **مُرتداً كافراً** بهذا القول نفسه ..

قال تعالي : **(قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠))** (يونس) .

قال الإمام الشوكاني في **(فتح القدير)** عند تفسير هذه الآية : **(والمعني : أن هؤلاء الذين يكذبون على ربهم لا يفوزون بمطلب من المطالب . ثم بين سبحانه أن هذا الإفتراء وإن فاز صاحبه بشيء من المطالب العاجلة فهو**

متاع قليل في الدنيا ، ثم يتعقبه الموت والرجوع إلى الله ، فيعذب المفتري عذاباً مؤبداً . فيكون متاع خبر مبتدأ محذوف ، والجملة مستأنفة لبيان أن ما يحصل للمفتري بافترائه ليس بفائدة يعتد بها ، بل هو متاعٌ يسير في الدنيا يتعقبه العذاب الشديد بسبب الكفر الحاصل بأسباب من جملتها الكذب على الله .) إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية : **(أي : لا ينالون مطلوبهم ، ولا يحصل لهم مقصودهم ، وإنما يتمتعون في كفرهم وكذبهم في الدنيا ، قليلاً ، ثم ينتقلون إلى الله ، ويرجعون إليه ، فيذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال تعالي : **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ)** (**العنكبوت٦٨**) .

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية : **(يقول تعالى ذكره: ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذباً، فقالوا إذا فعلوا فاحشة : وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها، والله لا يأمر بالفحشاء)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الشيخ السعدي في تفسيره لنفس الآية : **((ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله)** . إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال تعالي : **(وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)** (**الأعراف ٢٨**) .

فهؤلاء الكُفار المذكورين في هذه الآية لم يُشرِّعوا هذه الفواحش بل الذين شرعوها هم آباؤهم وأجدادهم ، بقرينة **(وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا)** ، ومع ذلك كانوا ينسبونها إلي الله ويزدادون كُفراً فوق كُفرهم ..

وهذه الآية – كما ذكر المُفسرون – نزلت في كُفار قريش عندما كانوا يطوفون بالبيت – رجالاً ونساءً – وهُم عُراة كما ولدتهم أُمهاتهم ويقولون أنهم يقتدون بآبائهم والله أمرهم بذلك ، فرد الله عليهم أنه جل وعلا لا يأمر بالفحشاء ، وأنكر عليهم نسبة تلك الفاحشة إليه والقول عليه بغير عِلم .

فالإفتراء علي الله الكذب ونسبة الباطل إليه جل وعلا هو كفرٌ أكبر مُستقل بذاته ، ومنازعة الله جل وعلا في التشريع للعباد والتحليل لهم والتحريم عليهم كُفر مُستقل بذاته ، فمن ارتكب أياً من هذين الناقضين فهو كافر بالله العظيم ..

وقد يجتمع في الشخص الواحد هذين الناقضين معاً ، **فيشرع مع الله** تشريعاً يُحل الحرام ويُحرم الحلال ، وبعد ذلك **ينسب تشريعه هذا إلي الله** .. فهذا إرتكب **ناقضين** وزاد كُفراً فوق كُفره .
ومن هذا ما كان يحصل في الجاهلية من كُفار أهل الكِتاب وعبدة الأصنام حيث كانوا يُشرِّعون بعض التشريعات الباطلة المُحادة لشرع الله ، وبعد ذلك ينسبون تلك التشريعات الباطلة إلي الله ..

قال تعالي : **(مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)** (**المائدة ١٠٣**) .

فالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام هي بعض البهائم والأنعام من الإبل والغنم وغيرها التي هي في الأصل يحل الإنتفاع بلحمها ولبنها وركوبها ، لكن كان المُشركون **يُحرمون** علي أنفسهم وأهليهم الإنتفاع بها ، وينسبون هذا **التحريم للحلال** إلي الله . فهم بهذا ارتكبوا ناقضين :

١/ **تحريم الحلال** ، وهو من التشريع مع الله ومنازعته حق التحليل والتحريم للعباد .

٢/ **الإفتراء علي الله الكذب** ، بنسبة تشريعهم هذا إلي الله .

قال الإمام القُرطبي في تفسيره لهذه الآية : **((ولكن الذين كفروا) يعني من قريش وخزاعة ومشركي العرب (يفترون على الله الكذب) بقولهم : إن الله أمر بتحريمها ، ويزعمون أنهم يفعلون ذلك لرضا ربهم في طاعة الله ، وطاعة الله إنما تعلم من قوله ، ولم يكن عندهم من الله بذلك قول ، فكان ذلك مما يفترونه على الله .)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال تعالي عن كُفار أهل الكِتاب : **(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (**آل عمران ٧٨**) .

فكُفار أهل الكِتاب كانوا يُشرعون من عند أنفسهم تشريعات باطلة ، وينسبون تلك التشريعات إلي الله عز وجل ، فوقعوا بذلك في ناقضي التشريع مع الله ، والإفتراء علي الله الكذب .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : **(يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله، أن منهم فريقاً يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به ، ليوهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك ، وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله ، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله)** . إنتهي كلامه رحمه الله .

فخلاصة القول أن الإفتراء علي الله الكذب ونسبة الباطل إلي الله كُفرٌ أكبر مُستقل بذاته وليس شرطاً ليصير التشريع مع الله كُفر أكبر . **فتأمل ذلك فهو واضحٌ** ولله الفضل والمِنة .

الشبهة السابعة : –

أهل البدع من المُتصوفة وغيرهم يُشرعون بدعاً لم يشرعها الله كالدعاء الجماعي بعد الصلوات المكتوبات وبدعة الذِكر الجماعي بصوت واحد مُرتفع ، ومع أنهم شرَّعوها لا نقول أنهم كُفار أو أنهم وقعوا بالكُفر بسبب هذا التشريع ! ، فلماذا تقولون أن هؤلاء الحُكام وقعوا في الكُفر بتشريعاتهم !! فإذا قلتم بكفر الحكام المُشرِّعين يلزمكم تكفير هؤلاء المُبتدعة !!!

الرد :

هذا الكلام ليس علي إطلاقه ، فالبدع هي أيضاً من التشريعات ، لكنها ليست علي مرتبة واحدة في الحُكم .. فالبدع منها **المُكفر** كبدعة القدرية وبدعة القول بخلق القرآن ، ومنها **غير المُكفر** كالدعاء الجماعي بعد الصلوات المكتوبات وبدعة الذِكر الجماعي بصوت واحد مُرتفع .

كما أن التشريعات الوضعية منها **المُكفر** وهي التشريعات التي تُحل الحرام أو تُحرم الحلال أو تُرخص للكُفر ، ومنها **غير المُكفر** بل الجائز كقوانين المرور وتنظيم أوقات العمل والعُطلات وبداية العام الدراسي في المدارس

ونهايته وغيرها ، كما ذكر ذلك الشيخ الشنقيطي في تفسيره **(أضواء البيان)** عند تفسير قوله تعالي : **(وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)** (**الكهف٢٦**) . ونقلته عنه في **(الرماح السَّمهريَّة (١))** فلتراجع .

وبيان ذلك فيما يلي :

البدع كما عرفها الإمام الشاطبي في أول كتابه **(الإعتصام)** قال : **(هي طريقة في الدين مُخترعة تُضاهي الشرعية يُقصد بالسلوك عليها المُبالغة في التعبد لله سُبحانه وتعالي)** .

فالبدعة يتأولها المُبتدع من أدلة في الدين ويقصد بها المُبالغة في التقرب والتعبد لله تعالي ، ومع هذا فهي ليست كُلها غير مُكفرة كما يُحاول أن يُلبس المُجادلون عن الطواغيت ، بل منها المُكفر التي من إبتدعها أو سار عليها صار **مُرتداً كافراً**.

قال الشيخ حافظ آل حكمي في كتابه **(معارج القبول)** عند تعريفه للبدع : **(فضابط البدعة المكفرة ؛ من أنكر أمراً مجمعاً عليه متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة، من جحود مفروض، أو فرض ما لم يفرض، أو إحلال محرم، أو تحريم حلال، أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله وكتابه عنه من نفي وإثبات – إلي قوله – وأما القسم الثاني : البدع التي ليست بمكفرة وهي ما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولا بشيء مما أرسل الله به رسله)** إنتهي كلامه رحمه الله .

إذن فالبدعة المُكفرة إتفقت مع التشريع الوضعي المُكفر الذي يشرعه ويحكم به الطواغيت الموجودون اليوم في أنهما : **تشريعات مُكفرة لأنها تتضمن جحود مفروض أو فرض مالم يُفرض أو إحلال مُحرم أو تحريم حلال .**
واختلفت البدعة المُكفرة عن التشريع الوضعي المُكفر في أن : **البدعة يُقصد بها المُبالغة في التقرب والتعبد لله سُبحانه وتعالي ، والتشريع الوضعي لا يُقصد به ذلك .**
ولو قصد هؤلاء الطواغيت بتشريعهم لهذه الأحكام الطاغوتية أو بالحكم بها التقرب والتعبد إلي الله تعالي ، لصارت هذه التشريعات الوضعية من **البدع المُكفرة .. فتأمل .**

إذن فلا معني لهذه الشبهة ، فإن المتصوفة لم يكفروا بتشريعهم لتلك البدع المذكورة لأن هذه البدع ليست بدع مُكفرة ، ولو شرعوا بدعاً مُكفرة لكفروا بذلك .

والطواغيت المُشرِّعين للتشريعات الوضعية الشركية وضعوا تشريعات تُحل الحرام وتُحرم الحلال وترخص للكُفر كما تطفح بذلك دساتيرهم الوثنية ، فكيف تُقارن هذه التشريعات الشركية ببدع غير مُكفرة كالدعاء بعد الصلوات والذكر الجماعي ؟!

فإلزامهم هذا إلزام فاسد مردود ، مبني علي الجهل والتخبط .. نسأل الله السلامة والعافية .

الشبهة الثامنة : –

النجاشي ملك الحبشة كان مُسلماً ولم يحكم بشرع الله بل حكم بأحكام النصاري ومع هذا لم يُكفره النبي عليه الصلاة والسلام كما ذكر ذلك بعض السلف !! فلما تُكفرون هؤلاء الحُكام الموجودين اليوم ؟!!

الرد : –

أما هذه الشُبهة فمن الجرأة علي أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ..

من الجرأة علي رجلٍ آوي المُهاجرين الآوائل من الصحابة إلي الحبشة وحماهم ونصرهم وآمن بما معهم من الحق ..

من الجرأة علي رجلٍ قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام للصحابة لما مات : **(مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ) رواه البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما** .

كل ذلك دفاعاً عن الطواغيت وعن تشريعاتهم الباطلة وقوانينهم الفاسدة وأحكامهم النتنة وبرلماناتهم العَفِنة.

فلتهنأوا يا أهل التَّجهم والإرجاء بإنتقاص الرجل الصالح الذي زكاه رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ولتقر أعين ولاة أموركم من الطواغيت بدفاعكم عنهم وعن شركهم وطُغيانهم وكفرهم وباطلهم .

وهنيئاً لكم .. السَّلفية !! والإنتساب للسَّلف الصالح !؟! .

الرد علي هذه الشُبهة – دفاعاً عن أصحاب رسول الله – يكون من وجهين :

الوجه الأول : –

ما الدليل من كلام الله جل وعلا أو كلام رسوله عليه الصلاة والسلام أو إجماع سلف الأمة الأعلام علي أن النجاشي بلغته شريعة الله جل وعلا ولم يحكم بها ؟! أو أنه حكم بأحكام النصاري ؟!!
أما أقوال العُلماء إذا لم تسندها الأدلة الصحيحة الصريحة فليست بحجة يُحتج بها .

فثبتوا العرش أولاً ثم انقشوا ! ..

عقيدتنا في هذا العبد الصالح الذي زكاه الصادق الذي لا ينطق عن الهوي أن كُل ما بلغه من شريعة الله فقد حكم به ، وأن الذي لم يحكم فيه بالشريعة الإسلامية – إن ثبت ذلك – **فلأن الشريعة لم تبلغه** ، فهو بهذا معذور ..

ودليلنا في ذلك أن كبار الصحابة رضي الله عنهم لما كانوا معه في الحبشة ، لم تبلغهم بعض الأحكام في الشريعة الإسلامية ، مع أنهم كانوا من العرب ويفهمون لغة العرب التي نزل بها القُرآن الكريم والسُنة المُطهرة ، ومع ذلك لم تبلغهم تلك الأحكام وخفيت عنهم .. فكيف بالنجاشي الأعجمي !

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي فَيَرُدُّ عَلَيْنَا فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ سَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا فَقُلْنَا (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَتَرُدُّ عَلَيْنَا؟!) قَالَ (إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شُغْلًا)) مُتفق عليه .

فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومن معه من الصحابة لما كانوا في الحبشة مع النجاشي لم يبلغهم أن رد السلام في الصلاة قد نُسخ ، ولم يعلموا ذلك حتي قدموا إلي المدينة وسلموا علي النبي عليه الصلاة والسلام في الصلاة فلم يرد عليهم فعلموا أنه قد نُسخ ..

فاذا كان نسخ رد السلام في الصلاة التي تتكرر خمس مرات في اليوم وهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد التوحيد ، لم يبلغ الصحابة الذي يفهمون العربية أنه نُسخ لما كانوا في الحبشة مع النجاشي .. ! فكيف بما هو دون الصلاة من أحكام الحلال والحرام والحدود والمُعاملات التي يحكم بها الحاكم المُسلم في الرعية ؟!!

فهذه عقيدتنا في هذا العبد الصالح ، أنه كان **موحداً صالحاً يحكم بكل ما بلغه من شرع الله** ، ومن زعم غير ذلك فليأتنا بالدليل .. **(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** (البقرة ١١١) .

الوجه الثاني : –

لو تنزلنا معكم جدلاً وقلنا أن الحُكم بشرع غير شرع الله كُفر أصغر وكُفر دون كُفر لا يخرج صاحبه من المِلة ، والكُفر الأصغر ذنب أكبر من الكبائر .. أكبر من القتل والزنا والسرقة وشرب الخمر ، لأن معصية سماها شرعنا

الحنيف كُفراً من باب الزجر والتغليظ أعظم من معصية لم يُسمها الشرع كُفراً كما ذكر ذلك أهل العِلم من السلف الصالح ..

فهل تقولون أن النجاشي حكم بغير شرع الله وارتكب كُفراً أصغر ؟!!
فكيف إذن يسميه النبي عليه الصلاة والسلام (رَجُلٌ صَالِحٌ) وقد ارتكب ذنباً أعظم من قتل النفس وشرب الخمر وزنا المحارم ؟!!

فمادام أنكم تقولون أن الحكم بالتشريعات الوضعية كفرٌ أصغر ، يلزمكم أن تقولوا بأحد قولين لا ثالث لهما وأحلاهما مُر :

إما أن تقولوا أن النجاشي وقع في الكُفر الأصغر ، ومع هذا لم ينكر عليه النبي عليه الصلاة والسلام ذلك بل أقره علي ذلك بأن زكاه وسماه رجلاً صالحاً ، **وهذا طعن في رسول الله صلي الله عليه وسلم !! ومن قال بهذا فقد وقع في الكفر من أوسع أبوابه ، وأرتد ردةً غليظة لا إستتابة فيها ..**

وإما أن تقولوا أن النجاشي كان عبداً صالحاً حاكماً بشرع الله الذي بلغه ، والذي لم يبلغه فهو معذور فيه لعدم بلوغ الشريعة له لذلك زكاه النبي عليه الصلاة والسلام ووصفه بالصَلاح .. وبهذا القول تبطل شبهتكم هذه ، وهذا هو المطلوب.

وقبل أن أنتقل للشبهة التي بعدها ، أقول لمن يتشدقون بهذه الشبهة :
((أنتم ومشايخكم وطلبة علمكم وكل من دار في فلك إرجائكم وسبح بحمد ولاة أمركم من الطواغيت ، لا تُساوون ذرة غُبارٍ واحدة تحت نعل النجاشي الذي زكاه النبي عليه الصلاة والسلام ، فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم عن هذا الرجل الصالح)) .

الشبهة التاسعة : –

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة لم يُطبق حد السرقة علي بعض من سرق ، يعني أنه حكم بغير ما أنزل الله ! فهل وقع في الكُفر الأكبر عندكم ؟!!

الرد :

وهذه الشَبهة أيضاً مثل التي سبقتها في الجرأة علي أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ..
لكن جُرأتهم هذه المرة علي الفاروق عُمر بن الخطاب رضي الله عنه .. علي ثاني الخلفاء الراشدين الذين أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام باتباع سُنتهم .. علي أحد المُبشرين بالجنة .. علي من أطفاء الله به نار المجوس وفتح به بيت المقدس وذل به كبرياء قياصرة الروم .. علي الذي لو كان نبيٌ بعد مُحمد صلي الله عليه وسلم لكان هو .. علي من ضرب الله الحق علي قلبه ولسانه .. علي من نزل القُرآن مرات ومرات موافقاً لما همَّ به في نفسه وقاله بلسانه ..

لا إله إلا الله ..

الهذا الحد طمس الله علي أبصارهم وشد علي قلوبهم ؟!! ..

الهذا الحد هان عندهم مقام أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي ساووهم بالطواغيت المُحاربين لتحكيم شرع الله والمُحكِّمين لشرائع اليهود والنصاري وقوانين الأمم المُتحدة (المُلحدة) في المُسلمين والمناصرين للكُفار علي المُسلمين ؟!!

الهذا الحد حال الله بينهم وبين قلوبهم فاصبحوا يدَّعون السلفية والإنتساب للسلف الصالح ومع هذا يطعنون في سادات وأئمة السلف الصالح بكل هذه الجرأة والوقاحة ؟!! ..

اللهم إنّا نبرأ إليك من الضلالة ومما يقول هؤلاء القوم المُجرمون .. ربنا لا تؤاخذنا بما فعل الجُهلاء والسُفهاء مِنَّا ..

نعوذ بالله من سوء الخاتمة وسوء المُنقلب .

والرد علي هذه الجُرأة يكون من وجهين : –

الوجه الأول : –

هذه القصة التي حصلت في عام الرمادة ذكرها ابن القيم في كتابه **(إعلام الموقعين)**(٣/١٦٠) حيث قال : **(فَصْلٌ (مِنْ أَسْبَابِ سُقُوطِ الْحَدِّ عَامُ الْمَجَاعَةِ)** .

الْمِثَالُ الثَّالِثُ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْقَطَ الْقَطْعَ عَنْ السَّارِقِ فِي عَامِ الْمَجَاعَةِ ، قَالَ السَّعْدِيُّ : حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إسْمَاعِيلَ الْخَزَّازُ ثنا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ ثنا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي حَسَّانُ بْنُ زَاهِرٍ أَنَّ ابْنَ حُدَيْرٍ حَدَّثَهُ عَنْ عُمَرَ قَالَ : (لَا تُقْطَعُ الْيَدُ فِي عِذْقٍ وَلَا عَامِ سَنَةٍ) .

قَالَ السَّعْدِيُّ : سَأَلْت أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ : الْعِذْقُ النَّخْلَةُ ، وَعَامُ سَنَةٍ : الْمَجَاعَةُ ، فَقُلْت لِأَحْمَدَ : تَقُول بِهِ ؟ فَقَالَ : إي لَعَمْرِي ، قُلْت : إنْ سَرَقَ فِي مَجَاعَةٍ لَا تَقْطَعُهُ ؟ فَقَالَ : لَا ، إذَا حَمَلَتْهُ الْحَاجَةُ عَلَى ذَلِكَ وَالنَّاسُ فِي مَجَاعَةٍ وَشِدَّةٍ .

قَالَ السَّعْدِيُّ : وَهَذَا عَلَى نَحْوِ قَضِيَّةِ عُمَرَ فِي غِلْمَانِ حَاطِبٍ ، ثنا أَبُو النُّعْمَانِ عَارِمٌ ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ حَاطِبٍ أَنَّ غِلْمَةً لِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ سَرَقُوا نَاقَةً لِرَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ ، فَأَتَى بِهِمْ عُمَرُ ، فَأَقَرُّوا ، فَأَرْسَلَ إلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ فَجَاءَ فَقَالَ لَهُ : إنَّ غِلْمَانَ حَاطِبٍ سَرَقُوا نَاقَةَ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ وَأَقَرُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا كَثِيرُ بْنَ الصَّلْتِ اذْهَبْ فَاقْطَعْ أَيْدِيَهُمْ ، فَلَمَّا وَلَّى بِهِمْ رَدَّهُمْ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاَللَّهُ لَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَسْتَعْمِلُونَهُمْ وَتُجِيعُونَهُمْ حَتَّى إنَّ أَحَدَهُمْ لَوْ أَكَلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَلَّ لَهُ لَقَطَعْت أَيْدِيَهُمْ ، وَايْمُ اللَّهِ إذَا لَمْ أَفْعَلْ لَأُغَرِّمَنَّكَ غَرَامَةً تُوجِعُكَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُزَنِيُّ بِكَمْ أُرِيدَتْ مِنْك نَاقَتُك ؟ قَالَ : بِأَرْبَعِ مِائَةٍ ، قَالَ عُمَرُ : اذْهَبْ فَأَعْطِهِ ثَمَانِي مِائَةٍ .) إنتهي كلامه رحمه الله .

فعقيدتنا في أن ما فعله عُمر بن الخطاب هو **عين تحكيم شرع الله** ، وليس حُكماً بغير ما أنزل الله كما يدعي الجُهلاء المُجادلون عن الطواغيت ، فإنه لم يُطبق **الحد الشرعي للسرقة** (قطع اليد) علي هؤلاء الذين سرقوا لأنهم سرقوا لكي يأكلوا حتي لا يهلكوا من شدة الجوع ، لأن عام الرمادة كان عام مجاعة شديدة ! ، فما فعله عُمر بن

الخطاب رضي الله عنه من عدم تطبيق الحد عليهم يدل علي فقه عمر بدين الله وسِعة علمه ونفاذ بصيرته وإلمامه بأصول الدين ، لأن ما فعله **موافق لشرع الله** لما يلي :

١/ القاعدة الفقهية تقول أن **(الضرورات تُبيح المحظورات)** ، بدليل قوله تعالي عن الأكل مما حرم الله : **(فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** (البقرة ١٧٣) .
وهؤلاء الغِلمان الذين سرقوا إضطروا للأكل مما حرم الله **(الناقة المسروقة)** حتي لا يموتوا جوعاً ، وهذه ضرورة تُبيح لهم السرقة لكي يأكلوا ، لذلك لا إثم عليهم أصلاً حتي يُقام عليهم الحد الشرعي ! ، وهذا ما فهمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصرَّح عنه بقوله : **(حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَوْ أَكَلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَلَّ لَهُ)** لهذا لم يُقم عليهم الحد وعوَّض الرُجل الذي سُرقت منه ناقته بضعف ثمنها .
ولهذا أستدل الإمام أحمد بنحو هذا علي إسقاط إقامة حد السرقة في عام المجاعة كعام الرمادة كما هو واضح في الأثر ، واستدل به ابن القيم في ذلك أيضاً ، لذلك ذكره في كتابه في فصل بعنوان **(مِنْ أَسْبَابِ سُقُوطِ الْحَدِّ عَامُ الْمَجَاعَةِ)** .

٢/ أن تنزلنا وقلنا أن هؤلاء آثمون مُستحقون للعقاب في الدُنيا بإقامة الحد عليهم ، فإن من المعلوم في الشريعة الإسلامية أن تطبيق الحدود الشرعية يُدرأ ولا يُطبق إذا وجدت الشُبهات المانعة من ذلك ، وهذا من رحمة الله بنا في شريعته السمحة ، لذلك بوَّب أهل العِلم في كتبهم علي هذا المعني ، ومثال ذلك ما بوَّبه ابن ماجه في سُننه قال : **(بَاب السِّتْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَدَفْعِ الْحُدُودِ بِالشُّبُهَاتِ)** ، وما بوَّبه البيهقي في سُننه الكُبري قال : **(باب ما جاء في درء الحدود بالشبهات)** ، وذكروا تحت هذين البابين ما جاء في هذا المعني من الأحاديث والآثار ..
بل ثبت عن عمر رضي الله عنه نفسه أنه قال : **(لئن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات)** . **رواه ابن أبي شيبة في مُصنفه ، وقال صاحب كتاب (المقاصد الحسنة)** : (**أخرجه ابن حزم في الإيصال بسند صحيح**) .

وفي هذه الحادثة كانت هناك شبهة تدرأ الحد عن هؤلاء الغِلمان الذي سرقوا وهي شبهة : **السرقة من أجل الأكل حتي لا يموتوا جوعاً** .
لذلك درأ عنهم عُمر رضي الله عنهم الحد ولم يُطبقه عليهم .

٣/ من المعلوم في الشريعة الإسلامية أن **حِفظ النفس** مُقدم علي **حِفظ المال** إذا تعارض حفظهما معاً ، وفي هذه الواقعة تعارض حفظهما معاً ..
فإما أن نقول **بحفظ المال** بعدم السرقة منه ، وبالتالي **تضيع النفوس بالموت جوعاً** ، وهذا لا يقول به عاقل له أدني فقه بشريعة الإسلام .
أو نقول **بحفظ النفوس** من الموت وإن أدي ذلك **لضياع المال بالسرقة منه** ، وهذا هو الصواب الموافق لأصول الشريعة الإسلامية وهو الذي فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٤/ هذا أيضا موافق للقاعدة الفقهية المعروفة التي ذكرها أهل العِلم في كتبهم وذكروا أدلتها من الكتاب والسنة وهي قولهم : **(الضرر الأشد يُزال بإرتكاب الضرر الأخف)** ، لأن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، ودرء المفاسد وتقليلها كما ذكر أهل العِلم .

وهنا الضرر الأشد هو ضياع النفوس وهلاكها ، والضرر الأخف هو ضياع المال بالسرقة ، فيرتكب الضرر الأخف **(إضاعة المال بسرقته)** لمنع وقوع الضرر الأشد **(هلاك النفوس جوعاً)** .

وهذا واضحٌ ولله الحمد والفضل والمِنة .

لكن أين هذا كله مما نحن فيه ؟!

أين هذا كُله من التشريع مع الله والتحليل والتحريم من دون الله والحُكم بشرائع الطاغوت وأحكام الجاهلية وقوانين اليهود والنصاري وتحكيمها في المُسلمين ؟!

هل ما فعله عمر بن الخطاب هذا هو نفسه ما يفعله الطواغيت الحاكمين أو المُشرعين اليوم ؟!!

هل غيَّر عمر بن الخطاب الحد الشرعي للسرقة وشرَّع من عنده حداً آخر وحكم به المُسلمين ؟!!

هل إدعي عمر بن الخطاب أن السيادة والتشريع للشعب أو الهيئات التشريعية ؟!!

سارت مُشرِّقةً وسِرتُ مُغرِّباً شتان بين مُشرِّقٍ ومغرِّبِ

نعوذ بالله من الخُذلان ومن الوقوع في حبائل الشيطان ، ونعوذ بالله من الجهالة والبلادة والغباء وذهاب العقول والضلال كالأنعام ..

قدمت لله ما قدمت من عملٍ وما عليَّ بهم ذَموني أو شكروا

عليَّ في البحث أن أُبدي غوامضه وما عليَّ إذا لم تفهم البقرُ !؟!

الوجه الثاني : –

لو تنزلنا معكم جدلاً وقلنا أن ما فعله عمر بن الخطاب هو من الحكم بغير ما أنزل الله ، وقلنا أن الحُكم بشرع غير شرع الله كُفر أصغر وكُفر دون كُفر لا يخرج صاحبه من المِلة .. والكُفر الأصغر ذنب أكبر من الكبائر .. أكبر من القتل والزنا والسرقة وشرب الخمر كما أسلفنا ..

فهل تقولون أن عمر بن الخطاب حكم بغير ماأنزل الله وارتكب كُفراً أصغر ؟!!

أيعقل أن يرتكب الكُفر الأصغر في وسط الصحابة ولا يُنكر عليه أحد منهم ؟!!

إذ قلتم بهذا القول فمن سلفكم الصالح فيه ؟!!

والله لن تجدوا لكم سلف في هذا القول الشنيع إلا الزنادقة من الشيعة الروافض ..

فهؤلاء أسلافكم في هذا القول يا من تدَّعون (السَّلفية) !!؟!

فاتقوا الله وتورعوا من الخوض في أعراض صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم .

الشبهة العاشرة : –

يجوز التحاكم للطاغوت فيما وافق فيه الشريعة الإسلامية لرد الحقوق ، لأنه لا يوجد محاكم إسلامية تحكم بشرع الله ، فإن وجدت فإنه لا يجوز ذلك .

الرد :

أما هذه الشبهة فإنه يقول بها حتي بعض الأفاضل من أهل العلم ممن يدافعون عن دعوة التوحيد ، ويدعون لاجتناب الطواغيت ..
لكن كلٌ يؤخذ من قوله ويُرد إلا النبي صلي الله عليه وسلم .

فأقول وبالله التوفيق :

إن التحاكم للطاغوت شِركٌ بالله العظيم وردةٌ عن دين الإسلام ورضاً بالكُفر بعد الإيمان ، لا يشكُ في ذلك إلا مُرجئٌ جهميٌ جلد من أذناب جهم بن صفوان ..
والكفر والشرك لا يجوز أن يرتكبها المُسلم مُتعمداً وهو عالمٌ بأنها كُفر إلا في حالة الإكراه المُعتبر شرعاً كما هو مذهب أهل السُنة والجماعة ، بشرط إن يطمئن قلبه بالإيمان ، لأن الله جل وعلا أستثناه بنص القرآن من مرتكبي الكُفر تعمداً من أجل حظوظ الدنيا الزائلة .

قال تعالي : **(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧))** **(النحل)**.

قال الإمام الشوكاني في **(فتح القدير)** عند تفسير هذه الآيات : **(قال القرطبي : أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولا تبين منه زوجته ، ولا يحكم عليه بحكم الكُفر.)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات : **(أخبر تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر ، وشرح صدره بالكفر واطمأن به ، أنه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه ، وأن لهم عذابا عظيماً في الدار الآخرة ، لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا)** . إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآيات : **((ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) حيث ارتدوا على أدبارهم ، طمعاً في شيء من حطام الدنيا ، ورغبة فيه ، وزهدا في خير الآخرة . فلما اختاروا الكفر على الإيمان ، منعهم الله الهداية ، فلم يهدهم ، لأن الكفر وصفهم . فطبع على قلوبهم ، فلا يدخلها خير ، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ، فلا ينفذ منها ما ينفعهم ، ويصل إلى قلوبهم . فشملتهم الغفلة ، وأحاط بهم الخذلان ، وحرموا رحمة الله ، التي وسعت كل شيء . وذلك أنها أتتهم ، فردوها ، وعرضت عليهم ، فلم يقبلوها)** . إنتهي كلامه رحمه الله .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في آخر رسالته **(نواقض الإسلام العشرة)** : **(ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، إلا المُكره)** .

وقال حفيده الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في أول رسالته **(الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك)** : **(إعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم ، خوفاً منهم ، ومداراة لهم ، ومداهنة لدفع شرهم ، فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ، ويحب الإسلام والمسلمين** – إلي قوله – **ولا يستثنى من ذلك إلا المكره ، وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له : أكفر ، أو إفعل كذا ، وإلا فعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم ، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان ، وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً ، أنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا ؟!)** إنتهي كلامه رحمه الله .

أما التحاكم للطاغوت في تشريعاته الموافقة للشريعة الإسلامية فهذا كفرٌ أكبرٌ **بالإجماع** ..

لأن **التوراة** وهي شريعة منسوخة ، فيها بعض الأحكام الموافقة للشريعة الإسلامية كحد الرجم للزاني – كما تقدم – ومع هذا فقد نقل غير واحد من أهل العلم كابن حزم وابن القيم وابن كثير وغيرهم – ونقلتها في **(الرماح السَّمهريَّة (١))** – **الإجماع** علي أن التحاكم للشرائع المنسوخة كالتوراة والإنجيل كُفرٌ وردة ..

وكذلك **ياسق التتار** كانت فيه بعض الأحكام التي أخذها جنكيز خان من المِلة الإسلامية – كما تقدم – ومع هذا نقل ابن كثير **الإجماع** علي أن التحاكم للياسق كُفر وردة .

ولم يقل أحد من هؤلاء العلماء أن التحاكم للتوراة والياسق يجوز فيما وافقت فيه الشريعة ..!!

فكيف إذن تخرقون هذه الإجماعات بمثل هذه الأقوال والتفصيلات ؟!!

وكيف تقولون بجواز الوقوع في شرك التحاكم للطاغوت في غير حالة الإكراه من أجل تحصيل الحقوق الدنيوية ؟!!

وما الدليل من الكتاب والسُنة علي أنه يجوز التحاكم للطاغوت إن لم توجد محاكم شرعية ، ولا تجوز إن وجدت ؟!! ومن الذي فهم هذا الدليل مثل فهمكم هذا من سلفنا الصالح ؟!!

ومن سلفكم في هذا التفصيل ؟!! وما دليله ؟!!

وما هي هذه الحقوق التي يجوز أن يُضيَّع من أجلها أعظم حق علي الإطلاق ، ألا وهو التوحيد الذي هو حق الله علي العبيد ؟!!

أمن أجل حفظ المال والبيوت والدواب وغيرها من حظوظ الدُنيا الزائلة يضيع المسلم أعز ما يملك .. دينه وتوحيده وعقيدته ؟!!

نعوذ بالله من غضب الله ومن القول في دين الله بغير علمٍ وهديً من الله ..

أما نحن فنقول أن التحاكم للطاغوت كُفر وشِرك وردة لا يجوز إلا في حالة الإكراه المعتبر شرعاً ، ولا يجوز لأي حظ من حظوظ الدنيا الزائلة ، بل لا يجوز حتي لو تقاتل الناس فيما بينهم لعدم وجود من يحكم بينهم ويفصل نزاعاتهم .. لأن حفظ الدين من الضياع بالكفر والشرك مُقدم علي حفظ النفوس من الهلاك بالقتل .

قال الشيخ سليمان بن سحمان في **(الدُرر السنية)** (١٠/٥١٠-٥١١) في رده علي من قال : **(إذا لم نتحاكم لشرائع الطاغوت ليفصل بيننا سنتقاتل !!)** ..

قال : **(إذا عرفت أن التحاكم إلي الطاغوت كفر ، فقد ذكر الله في كتابه أن الكفر أكبر من القتل ، قال (والفتنة أكبر من القتل) وقال (والفتنة أشد من القتل) ، والفتنة : هي الكفر** ..

فلو إقتتلت البادية والحاضرة حتي يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتاً يحكم بخلاف شريعة الإسلام التي بعث الله بها رسوله صلي الله عليه وسلم) إنتهي كلامه رحمه الله .

نسأل الله أن يُرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ..

هذا وبالله التوفيق .

الشبهة الحادية عشرة : –

يلزمكم من القول بكفر الحاكم بغير شرع الله تكفير كل الناس الذين يحكمهم الحاكم بهذه القوانين الوضعية ! أي لا بد أن تقولوا بكفر المجتمع كله !!

الرد :

هذا إلزامٌ فاسد لا يلزمنا في شيئ ، بل يدل علي جهل قائله ، ولا يلتزم مثل هذا الجهل أحد يدين لله جل وعلا بعقيدة أهل السنة والجماعة التي تقوم علي أدلة الكتاب والسنة علي فهم السلف الصالح من القرون الثلاثة المُفضلة ومن سار علي نهجهم واقتفي أثرهم إلي يوم الجمع والدين .

بل لا يلتزم هذا اللازم ويعتقده ويقول به إلا المُبتدعة من أهل الغلو في التكفير الذين دخلت عليهم بعض شُبهات الخوارج.
ونحن نبرأ إلي الله من منهج أهل الغلو في التكفير الضال المُنحرف المُخالف لمنهج أهل السُنة والجماعة ..

أما نحن فعقيدتنا أن التكفير حكمٌ شرعيٌ مرده إلي كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، فلا نُكفر إلا من كفره الله أو رسوله أو أجمعت الأمة علي كفره ، والإنسان قد يقع منه الكفر **بالقول** أو **بالفعل** أو **بالإعتقاد** أو

بالشك ونحن نحكم بكفره بما يظهر لنا من القول أو الفعل المُكفر أما **الإعتقاد** و**الشك** فهما في القلب وليس لنا سبيل إلي الحكم بما في القلوب – لأننا لم نؤمر أن نشق عن قلوب الناس ولا عن بطونهم لنعرف ما فيها – إلا أن يظهر هذا **الإعتقاد** أو **الشك** في الظاهر بقول أو فعل مكفر .

ولا نكفر بالذنوب والمعاصي والكبائر التي لا تصل إلي حد الكفر والشرك بالله والطغيان علي ما اختص به جل جلاله كما تفعل الخوارج ، بل نقول أن فاعل مثل هذه الذنوب مسلم فاسق مُستحقٌ للعقوبة إذا لم يتب منها ، ولا يكفر بمجرد فعلها إلا أن يستحلها ..

ولا نشترط للتكفير بنواقض الإسلام الجحود القلبي أو الإستحلال القلبي كما تفعل غلاة المرجئة والجهمية ، فإذا أرتكب المعين ناقض من نواقض الإسلام الظاهرة على اللسان أو الجوارح فهو كافر بنفس الناقض ، بغض النظر عما في قلبه من الجحود أو الإستحلال أو التكذيب أو النفاق أو الشك في الدين أو الإستكبار أو البغض للدين أو الإعراض أو غير ذلك ..

والأصل أن المُعيَّن من المسلمين إذا إرتكب ما هو من الكفر والشرك أنه لا يكفر عيناً إلا بعد توفر شروط التكفير في حقه وإنتفاء موانعه عنه ، فإذا ثبت في حق المعين بعض موانع التكفير الشرعية **كالجهل المعتبر** أو **الإكراه المعتبر** أو **التأول المستساغ** أو **الخطأ** – وهو عدم قصد الفعل أو القول المُكفر – سعينا في إزالة هذا المانع عنه ، فإذا أصر بعد زوال المانع علي القول أو الفعل المُكفر كفرناه علي التعيين .

وإزالة مانعي **الجهل المعتبر** و**التأول المستساغ** هو ما يُعرف **بإقامة الحجة** ، لأن حجة الله الشرعية علي هذه الأمة هي ما جاء به النبي صلي الله عليه وسلم من القرآن والسنة علي فهم الصحابة الكرام .
قال تعالي : **(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)** (النساء ١٦٥).

فعامة الناس الذين هم تحت حُكم وتسلط الطواغيت إذا أظهروا شعائر الإسلام الظاهرة كالنطق بالشهادتين والصلاة وحضور الجُمع والجماعات ولم يُظهروا ناقضاً من نواقض الإسلام الظاهرة التي بينها الله في كتابه أو علي لسان رسوله عليه الصلاة والسلام أو أجمعت الأمة عليها بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام ، فالأصل فيهم إنهم **مسلمون** نحكم بإسلامهم ونصلي خلفهم ونصلي في مساجدهم ونأكل ذبائحهم وننكح نسائهم ونتبع جنائزهم ونستغفر لموتاهم ولا ننتهك حُرماتهم ، كما هي عقيدة أهل السُنة والجماعة .

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ)) رواه البخاي .

وسَأَلَ مَيْمُونُ بْنُ سِيَاهٍ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ : (يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا يُحَرِّمُ دَمَ الْعَبْدِ وَمَالَهُ ؟!) فَقَالَ : (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ) رواه البخاري .

بل **أجمع أهل العلم** علي أن من لم نعلمه قد نطق الشهادتين بلسانه لكن رأيناه يواظب علي الصلاة في وقتها فإننا نحكم بإسلامه . وهذا الذي ندين الله جل وعلا به ..

قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢٠٧/٨) : **(قال إسحاق بن راهويه : ولقد أجمعوا في الصلاة على شئ لم يجمعوا عليه في سائر الشرائع ، لانهم بأجمعهم قالوا : من عُرف بالكفر ثم رأوه يصلي الصلاة في وقتها حتى صلى صلوات كثيرة ، ولم يعلموا منه إقراراً باللسان أنه يحكم له بالايمان ، ولم يحكموا له في الصوم والزكاة بمثل ذلك.)** إنتهي كلامه رحمه الله .

وفي هذا الإجماع ردٌ علي المُبتدعة من أهل الغلو في التكفير الذين لا يحكمون علي المسلم بالإسلام بمجرد نطقه للشهادتين وإظهاره للصلاة واجتنابه لنواقض الإسلام ، بل يقولون الأصل في هؤلاء أيضاً الكُفر أو التوقف فيهم فلا يُحكم لهم بإسلام ولا بكفر ، ويشترطون معرفة عقيدة قلبه والتزامه بالإسلام في الباطن حتي يحكموا له بالإسلام ويصلوا خلفه ويأكلوا ذبيحته ويعصموا دمه وماله .. وهذه عقائد بدعية باطلة فاسدة مُخالفة للأدلة وإجماع السلف الصالح من أُمة الإسلام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٤٠٥/١) : **(وَتَجُوزُ الصَّلَاةُ خَلْفَ كُلِّ مُسْلِمٍ مَسْتُورٍ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَسَائِرِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَمَنْ قَالَ : لَا أُصَلِّي جُمْعَةً وَلَا جَمَاعَةً إلَّا خَلْفَ مَنْ أَعْرِفُ عَقِيدَتَهُ فِي الْبَاطِنِ فَهَذَا مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ)** . إنتهي كلامه رحمه الله .

وعقيدتنا أننا نحكم علي الإنسان بالإسلام أو بالكُفر حسب ما يظهر لنا في الظاهر علي لسانه وجوارحه ، ولم نؤمر بمعرفة ما في قلب الإنسان من إيمان أو كُفر حتي نحكم له بذلك ، بل نَكِل مافي قلوبهم إلي الله فالله أعلم بما فيها ، ونحكم عليهم بالظاهر ، فمن أظهر لنا الإسلام وشعائره واجتناب نواقضه حكمنا بإسلامه في الظاهر بغض النظر عما في قلبه ، ومن أظهر لنا الكُفر في الظاهر حكمنا بكفره ظاهراً وباطناً بغض النظر عما في قلبه ، وهذا بإجماع أهل السُنة والجماعة .

فعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ)) مُتفق عليه .

قال ابن حجر في **(فتح الباري)** عند شرحه لحديث **(مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)** ، قال : **(وَكُلّهمْ – أي العلماء – أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ أَحْكَام الدُّنْيَا عَلَى الظَّاهِر وَاَللَّه يَتَوَلَّى السَّرَائِر)** . إنتهي كلامه رحمه الله .

أما من ارتكب من هؤلاء المُسلمين ناقضاً من نواقض الإسلام كالتحاكم للطاغوت فالأصل ألا نُكفره إلا بعد توفر شروط التكفير وإنتفاء موانعه عنه وإقامة الحجة عليه إن كان معذوراً بالجهل المُعتبر أو التأول المُستساغ ، فإن أصر بعد ذلك علي هذا الناقض فهو كافر عيناً كما أسلفنا .

أما الذين نقول بكفرهم فهم الطواغيت الحاكمين بالقوانين الشِركية والمُشرِّعين للأحكام الطاغوتية والمُقسمين علي إحترامها واتباعها وتنفيذها وكل من قاتل دونهم ونصرهم ونصر قوانينهم الوثنية وسهر علي حمايتها وتنفيذها علي رقاب العباد . لا فرق بينهم في الحكم بالكفر والعقوبة ..

قال تعالي : **(إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ)** (**القصص ٨**) .
فساوي الله بين الطواغيت **(فِرْعَوْنَ)** ، وأتباعهم ومناصريهم علي باطلهم **(وَهَامَانَ)** ، والمُدافعين عنهم والمُقاتلين دونهم **(وَجُنُودَهُمَا)** ، في الذنب والإثم والخطيئة **(كَانُوا خَاطِئِينَ)** ، لا فرق بينهم في ذلك .
قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية : **(يقول تعالى ذكره: إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين)**

وقال تعالي : **(وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)** (**القصص ٦**) .
فساوي الله بينهم هنا في الوعيد **(مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)** . لا فرق بينهم في ذلك .

وقال تعالي عنهم : **(وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢))** (**القصص**)
فساوي الله بينهم هنا في العقوبة الدُنيوية **(فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ)** ، وفي العقوبة الأخروية **(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ)** ، وفي اللعن في الدنيا **(وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً)** ، وتقبيحهم في الآخرة **(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ)** ، لا فرق بينهم في ذلك .
وبيَّن أن جميعهم أئمة في الكُفر والضلال يدعون إلي النار **(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ)** . لا فرق بينهم في ذلك .

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية : **(يقول تعالى ذكره : وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتمّ بهم أهل العتوّ على الله ، والكفر به ، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار .)** .

وقال الإمام القرطبي في تفسيره لنفس الآية : **(قوله تعالى** : (وجعلناهم أئمة) **أي جعلناهم زعماء يُتَبعون على الكُفر.)** .

وقال تعالي : **(الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)** (**النساء ٧٦**) .
فحكم الله جل وعلا علي كُل مُقاتل في سبيل الطاغوت أنه كافر .

فهذا ما ندين الله جل وعلا به .

الشبهة الثانية عشرة : –

أنتم تكفيريون وخوارج لأنكم تدعون للخروج علي الحكام .. !

الرد :

لما لم يستطع المُجادلون عن الطواغيت الرد علينا بالأدلة الشرعية ، إنتقلوا إلي رمينا ووصفنا بأوصاف أهل البدع زوراً وبهتاناً لتنفير الناس عما ندين الله به من عقيدة أهل السُنة والجماعة ، ولا عجب .. فقد رمي أسلاف هؤلاء سلفنا الصالح بأنهم من الخوارج ..

فرُمي الإمام أحمد بن حنبل أنه من الخوارج ، ورُمي شيخ الإسلام ابن تيمية أنه من الخوارج ، ورُمي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أنه من الخوارج ..

وهكذا سنة الله في خلقه ماضية ، وحال أهل الباطل مع أهل الحق هو نفس الحال حتي يرث الله الأرض ومن عليها .. كلما لم يستطيعوا مُقارعة أهل الحق بالحجة والبرهان إنتقلوا إلي رميهم بالزور والبُهتان ..

لكن الكلاب تنبح والقافلة إلي ربها تسير ..

فهؤلاء نسوا أنهم لا يعادون أشخاصاً مُعينين ، بل يُعادون توحيد رب العالمين ، و **(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)** (الصف ٨) .

أما عن قولهم لنا أنكم **(تكفيريون)** فهذه الكلمة – رغم إدعائهم السَّلفية !! – **ليس لهم فيها سلفٌ صالحٌ** ، وليست مُنضبطة بضابط مُعين عندهم ، بل هي كلمة من نحاتة أفكارهم يقولونها ويشهرونها كالسيف في وجه كل من خالف بدعتهم وباطلهم.

فمن هم المقصودون بهذه الكلمة **(تكفيريون)** ؟!!

هل المقصودون بها الذين يُكفرون عدداً كبيراً من الناس ؟!!

إن كان كذلك فمعناه أن كُل المُسلمين تكفيريون!! لأنهم يحكمون بكفر اليهود والنصاري وغيرهم من الكُفار الأصليين ، وهؤلاء هم اليوم أكثر من ٥ مليار نسمة !!

ومعناه أن الصحابة تكفيريون!! لأنهم حكموا بكفر وردة أصحاب مُسيلمة الكذاب وكانوا يزيدون علي مئة ألف مرتد بدون تفصيل أو إقامة حُجة كما ذكر ذلك ابن تيمية في كتابه **(منهاج السُنة)** .

أم هل المقصودون بها الذين يُكفرون بالهوي والمُشتبهات ؟!!

إن كان كذلك فنحن – والحمد لله – لا نكفر إلا بنواقض الإسلام الصريحة الظاهرة المنضبطة بالأدلة كما أسلفنا .

أم هل المقصودون بها الذين يُكفرون بالكبائر غير المُكفرة كالسرقة والزنا وشرب الخمر ؟!!

إن كان كذلك فهؤلاء سماهم السلف **خوارج** ولم يُسموهم تكفيريين ، ونحن لا ندين بأي أصل من أصول الخوارج والحمد لله ، فلا نُكفر بالكبائر ، ولا نقول بخلود صاحب الكبيرة في النار ، ولا ننكر شيئاً من السُنة الصحيحة الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، ولا نري جواز الخروج علي الحُكام المُسلمين الظالمين مالم يرتكبوا كُفراً بواحاً كما بيَّن رسولنا الصادق الأمين .

أم هل المقصودون بها الذين يُكفِّرون الحُكام ؟!!

إن كان كذلك فتكفير الحُكام إذا وقعوا في الكُفر البواح الذي عندنا فيه من الله بُرهان ليس ببدعة حتي يُرمي صاحبه بمثل هذه الكلمة التي تدل علي أنه من أهل البدع ! ، فبعض السلف كسعيد بن جبير وطاوس والشعبي وهم من التابعين كفروا حاكمهم الحجاج بن يوسف وبعضهم خرج عليه كما ذكر ذلك ابن أبي شيبة في كتابه **(الإيمان)** وابن حجر في كتابه **(تهذيب التهذيب)** عند ترجمة سعيد بن جبير .

فهل هؤلاء التابعين تكفيريون عندكم ؟!!

وكذلك السلف أجمعوا علي كفر العُبيديين أتباع بني عُبيد القداح الذين كانوا **حُكاماً** علي المغرب ومصر والشام لما أظهروا بعض نواقض الإسلام رغم أنهم كانوا يتظاهرون بشعائر الإسلام والجُمع والجماعات وحب آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام .

فهل هؤلاء السلف تكفيريون ؟!!

نعوذ بالله من الجهالة والضلالة ..

أما قولهم أننا **(خوارج لأنكم تريدون الخروج علي الحكام .. !)** ، فالخوارج كانوا يخرجون علي الحُكام المُسلمين الحاكمين بشرع الله إذا رأوا منهم الظلم والجور ، ونحن لا نري هذا ونبرأ إلي الله منه ..

أما الخروج علي الحاكم الذي أظهر الكُفر البواح فليس من صفات الخوارج كما أسلفنا ، **بل هو واجبٌ شرعيٌ علي كل مُسلم عند القدرة بإجماع العلماء .**

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ : (دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ) مُتفق عليه .

قال النووي في شرحه لصحيح مُسلم عند شرحه لهذا الحديث : **(وَأَجْمَعَ أَهْل السُّنَّة أَنَّهُ لَا يَنْعَزِل السُّلْطَان بِالْفِسْقِ)** وقال : **(قَالَ الْقَاضِي عِيَاض : أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْإِمَامَة لَا تَنْعَقِد لِكَافِرٍ ، وَعَلَى أَنَّهُ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْكُفْر اِنْعَزَلَ قَالَ : وَكَذَا لَوْ تَرَكَ إِقَامَة الصَّلَوَات وَالدُّعَاء إِلَيْهَا ، قَالَ : وَكَذَلِكَ عِنْد جُمْهُورهمْ الْبِدْعَة ، قَالَ : وَقَالَ بَعْض الْبَصْرِيِّينَ : تَنْعَقِد لَهُ ، وَتُسْتَدَام لَهُ لِأَنَّهُ مُتَأَوِّل ، قَالَ الْقَاضِي : فَلَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ كُفْر وَتَغْيِير لِلشَّرْعِ أَوْ بِدْعَة خَرَجَ عَنْ حُكْم الْوِلَايَة ، وَسَقَطَتْ طَاعَته ، وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَام عَلَيْهِ ، وَخَلْعه وَنَصْب إِمَام عَادِل إِنْ أَمْكَنَهُمْ ذَلِكَ ، فَإِنْ لَمْ يَقَع ذَلِكَ إِلَّا لِطَائِفَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِمْ الْقِيَام بِخَلْعِ الْكَافِرِ .**
وَلَا يَجِب فِي الْمُبْتَدِع إِلَّا إِذَا ظَنُّوا الْقُدْرَة عَلَيْهِ ، فَإِنْ تَحَقَّقُوا الْعَجْز لَمْ يَجِب الْقِيَام ، وَلْيُهَاجِرْ الْمُسْلِم عَنْ أَرْضه إِلَى غَيْرهَا ، وَيَفِرّ بِدِينِهِ ، قَالَ : وَلَا تَنْعَقِد لِفَاسِقٍ اِبْتِدَاء ، فَلَوْ طَرَأَ عَلَى الْخَلِيفَة فِسْق قَالَ بَعْضهمْ : يَجِب خَلْعه إِلَّا أَنْ تَتَرَتَّب عَلَيْهِ فِتْنَة وَحَرْب ، وَقَالَ جَمَاهِير أَهْل السُّنَّة مِنْ الْفُقَهَاء وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ : لَا يَنْعَزِل بِالْفِسْقِ وَالظُّلْم وَتَعْطِيل الْحُقُوق ، وَلَا يُخْلَع وَلَا يَجُوز الْخُرُوج عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، بَلْ يَجِب وَعْظه وَتَخْوِيفه ؛ لِلْأَحَادِيثِ الْوَارِدَة فِي ذَلِكَ) . إنتهي كلامه رحمه الله .

وقال ابن حجر في **(فتح الباري)** عند شرحه لحديث **(السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ) ..**
قال : **(وَقَدْ تَقَدَّمَ الْبَحْث فِي هَذَا الْكَلَام عَلَى حَدِيث عُبَادَةَ فِي الْأَمْر بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَة (إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا) بِمَا يُغْنِي عَنْ إِعَادَته وَهُوَ فِي (كِتَاب الْفِتَن) وَمُلَخَّصه أَنَّهُ يَنْعَزِل بِالْكُفْرِ إِجْمَاعًا فَيَجِب عَلَى كُلّ مُسْلِم الْقِيَام فِي ذَلِكَ ، فَمَنْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ فَلَهُ الثَّوَاب ، وَمَنْ دَاهَنَ فَعَلَيْهِ الْإِثْم ، وَمَنْ عَجَزَ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْهِجْرَة مِنْ تِلْكَ الْأَرْض .)** إنتهي كلامه رحمه الله .

فهؤلاء أئمة السلف الصالح يفرقون بين الحاكم المُسلم الظالم الفاسق المُبتدع بدعة غير مُكفرة فيجمعون علي عدم الخروج عليه ، وبين الحاكم الذي ظهر منه الكُفر البواح فيوجبون علي كل مُسلم الخروج عليه عند القدرة بالإجماع ، لأن مفسدة الكُفر والشرك أعظم من مفسدة هلاك النفوس في جهاد هذا الكافر .

وإليك – يا طالب الحق – المزيد من شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٢٨/٥٠٢ – ٥١٥) :

قال : **(أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مُمْتَنِعَةٍ عَنْ شَرِيعَةٍ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ . فَلَوْ قَالُوا : نُصَلِّي وَلَا نُزَكِّي أَوْ نُصَلِّي الْخَمْسَ وَلَا نُصَلِّي الْجُمُعَةَ وَلَا الْجَمَاعَةَ أَوْ نَقُومُ بِمَبَانِي الْإِسْلَامِ الْخَمْسِ وَلَا نُحَرِّمُ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ أَوْ لَا نَتْرُكُ الرِّبَا وَلَا الْخَمْرَ وَلَا الْمَيْسِرَ أَوْ نَتَّبِعُ**

الْقُرْآنَ وَلَا نَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا نَعْمَلُ بِالْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنْهُ أَوْ نَعْتَقِدُ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى خَيْرٌ مِنْ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّ أَهْلَ الْقِبْلَةِ قَدْ كَفَرُوا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مُؤْمِنٌ إلَّا طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ أَوْ قَالُوا : إنَّا لَا نُجَاهِدُ الْكُفَّارَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأُمُورِ الْمُخَالِفَةِ لِشَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَّتِهِ وَمَا عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ . فَإِنَّهُ يَجِبُ جِهَادُ هَذِهِ الطَّوَائِفِ جَمِيعِهَا كَمَا جَاهَدَ الْمُسْلِمُونَ مَانِعِي الزَّكَاةِ وَجَاهَدُوا الْخَوَارِجَ وَأَصْنَافَهُمْ وَجَاهَدُوا الخرمية وَالْقَرَامِطَةَ وَالْبَاطِنِيَّةَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَصْنَافِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ الْخَارِجِينَ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ .)

وقال : (الْحَمْدُ لِلَّهِ ، كُلُّ طَائِفَةٍ مُمْتَنِعَةٍ عَنْ الْتِزَامِ شَرِيعَةٍ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ ؛ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَلْتَزِمُوا شَرَائِعَهُ وَإِنْ كَانُوا مَعَ ذَلِكَ نَاطِقِينَ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَمُلْتَزِمِينَ بَعْضَ شَرَائِعِهِ كَمَا قَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَانِعِي الزَّكَاةِ . وَعَلَى ذَلِكَ اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ بَعْدَهُمْ بَعْدَ سَابِقَةِ مُنَاظَرَةِ عُمَرَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . فَاتَّفَقَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى الْقِتَالِ عَلَى حُقُوقِ الْإِسْلَامِ عَمَلًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَكَذَلِكَ ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَشَرَةِ أَوْجُهٍ الْحَدِيثُ عَنْ الْخَوَارِجِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ مَعَ قَوْلِهِ : ((تُحَقِّرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ)) فَعُلِمَ أَنَّ مُجَرَّدَ الِاعْتِصَامِ بِالْإِسْلَامِ مَعَ عَدَمِ الْتِزَامِ شَرَائِعِهِ لَيْسَ بِمُسْقِطٍ لِلْقِتَالِ . فَالْقِتَالُ وَاجِبٌ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَحَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ . فَمَتَى كَانَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ فَالْقِتَالُ وَاجِبٌ .

فَأَيُّمَا طَائِفَةٍ امْتَنَعَتْ مِنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ أَوْ الصِّيَامِ أَوْ الْحَجِّ أَوْ عَنْ الْتِزَامِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْخَمْرِ وَالزِّنَا وَالْمَيْسِرِ أَوْ عَنْ نِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ أَوْ عَنْ الْتِزَامِ جِهَادِ الْكُفَّارِ أَوْ ضَرْبِ الْجِزْيَةِ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ وَمُحَرَّمَاتِهِ – الَّتِي لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي جُحُودِهَا وَتَرْكِهَا – الَّتِي يَكْفُرُ الْجَاحِدُ لِوُجُوبِهَا . فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمُمْتَنِعَةَ تُقَاتَلُ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ مُقِرَّةً بِهَا . وَهَذَا مَا لَا أَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ . وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي الطَّائِفَةِ الْمُمْتَنِعَةِ إذَا أَصَرَّتْ عَلَى تَرْكِ بَعْضِ السُّنَنِ كَرَكْعَتَيْ الْفَجْرِ وَالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ – عِنْدَ مَنْ لَا يَقُولُ بِوُجُوبِهَا – وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الشَّعَائِرِ . هَلْ تُقَاتَلُ الطَّائِفَةُ الْمُمْتَنِعَةُ عَلَى تَرْكِهَا أَمْ لَا ؟ فَأَمَّا الْوَاجِبَاتُ وَالْمُحَرَّمَاتُ الْمَذْكُورَةُ وَنَحْوُهَا فَلَا خِلَافَ فِي الْقِتَالِ عَلَيْهَا .

وَهَؤُلَاءِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ الْعُلَمَاءِ لَيْسُوا بِمَنْزِلَةِ الْبُغَاةِ الْخَارِجِينَ عَلَى الْإِمَامِ أَوْ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ ؛ كَأَهْلِ الشَّامِ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَإِنَّ أُولَئِكَ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ إمَامٍ مُعَيَّنٍ أَوْ خَارِجُونَ عَلَيْهِ لِإِزَالَةِ وِلَايَتِهِ . وَأَمَّا الْمَذْكُورُونَ فَهُمْ خَارِجُونَ عَنْ الْإِسْلَامِ.)

وقال : (يَجِبُ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالُ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ مُمْتَنِعَةٍ عَنْ شَرِيعَةٍ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ ؛ مِثْلُ الطَّائِفَةِ الْمُمْتَنِعَةِ عَنْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ أَوْ عَنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ إلَى الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَوْ عَنْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ الَّذِينَ لَا يَمْتَنِعُونَ عَنْ سَفْكِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ أَوْ لَا يَتَحَاكَمُونَ بَيْنَهُمْ بِالشَّرْعِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

فِي مَانِعِي الزَّكَاةِ وَكَمَا قَاتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَوَارِجَ) إنتهي كلامه رحمه الله .

فهل بقي لمجادلٍ عن الطواغيت مدعٍ للسلفية حُجة بعد هذه الإجماعات .. ؟!

فالحمد لله القائل : **(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)** (الأنبياء ١٨)

أولئك أسلافي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جهمي المجامع !

خاتمة : –

فهذا ما تيسر الرد عليه من شُبهات في هذه الرسالة بفضل الله وقوته وحمده ومنته ، ولا بأس إن وجدنا شُبهات أخري من شُبهاتهم أن نرد عليها في طبعة أخري لنفس هذه الرسالة .
وأريد أن أنبه أخي الموحد طالب الحق إلا بعض النقاط :

١/ أن مسائل الحُكم والتشريع تتعلق بأصل التوحيد الذي هو دين جميع المُرسلين – كما تقدم – ، لا كما يُحاول المجادلون عن الطواغيت أن يُوهموا الناس أنها مسائل فرعية .

٢/ أن المجادلين عن الطاغوت يجعلون مسائل الحُكم والتشريع كلها مُتعلقه بآية واحدة في كتاب الله وهي آية **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** (**المائدة ٤٤**) ، ويضربون ببقية الأدلة الغزيرة الوفيرة عرض الحائط ولا يلتفتون إليها ولا يرفعون بها رأساً ، وهذا من جهلهم واتباعهم للمتشابه وتركهم للمُحكم وهي طريقة أهل الغي والضلال .. ومع هذا يدَّعون السَّلفية والإنتساب للسلف الصالح !! .

٣/ يجب التفريق بين الصورة الشركية التشريعية للحكم التي تتضمن مُنازعة الله في التشريع وإشراك غيره معه في الحُكم والتي يكون فيها الحاكم من رؤوس الطواغيت الذين أُمرنا بالكُفر بهم واجتنابهم لتحقيق التوحيد ، وبين صورة الحاكم المُسلم الظالم الجائر الذي يحكم بشريعة الإسلام وتشريعه ولم يُنصب نفسه مُشرعاً مع الله ولم يحكم بتشريع غيره من الطواغيت ، لكن يتبع هواه فيظلم ويجور .. فأصل ضلال القوم المُجادلين عن الطواغيت أنهم تشابه عليهم البقر ، فخلطوا بين النوعين وأنزلوا الأدلة وأقوال أهل العِلم التي هي في الحاكم المُسلم الجائر علي الحاكم الطاغوت المُشرِّع .

٤/ أن المجادلين عن الطواغيت قد يأتون بجيش جرار من أقوال أهل العلم وتفصيلاتهم وتفريعاتهم ، لكن ليس فيها دليل واحد ، وليس فيها إجماع واحد ، ويريدون أن يحجوا بها أهل الحق .. لكن الجواب عليهم من أيسر ما يكون ، وهو قولك : **(أقوال أهل العلم ليست بحجة يُحتج بها إذا لم يكن فيها دليل علي فهم السلف الصالح !)** .

٥/ أن المُجادلين عن الطاغوت يشترطون للقول بكفره أو وقوعه في الكُفر نواقض إضافية زيادة علي التشريع مع الله أو الحُكم بالتشريع الوضعي الكُفري .. كالجحود والإستحلال والتفضيل والنسبة لشرع الله والإستهانة بحكم الله ، وهذا نواقض مُستقلة بذاتها غير التشريع مع الله والحُكم بذلك التشريع .. فتنبه .

٦/ أن المُجادلين عن الطواغيت لا يتورعون في سبيل الدفاع عن باطلهم وطواغيتهم أن يرموا الصحابة أو التابعين بأنهم وقعوا في عظائم الذنوب ، بل قد يرموا حتي الرسل **المعصومين من الكبائر والكُفر بالإجماع** كيوسف ومحمد صلي الله عليه وسلم أنهم وقعوا في العمل مع طواغيت الكُفر ومساعدتهم علي كُفرهم أو أنهم حرموا ما أحل الله ، وهذا من جهلهم وجرأتهم علي دين الله .. فتنبه .

٧/ أنهم يتلاعبون بألفاظ اللغة العربية ليصرفوا كلام أهل العِلم عن ظاهره عندما لا يوافق هواهم ، فيأتون بتفسيرات مُضحكة ! ، ك **(التقديم معناه التفضيل)** و **(الإلتزام معناها الإعتقاد)** وغير ذلك من التفسيرات التي ليس لهم فيها سلفٌ صالح ، أو يُفسرون ألفاظ القرآن الكريم بمدلولها ومعناها اللغوي وليس بمعناها الشرعي الذي أراده الله ورسوله .. فتنبه .

٨/ أخيراً .. لا تنسوا كاتب هذه الرسالة من صالح دعائكم واستغفاركم له وسؤال الله له الثبات علي التوحيد حتي الممات.

هذا وقد تم المقصود من هذه الرسالة بحمد الله وتوفيقه .

فما كان من توفيق فمن الله

وما كان من خطأ فمن عند نفسي الأمارة بالسوء

والله ورسوله بريئان منه

والحمد لله رب العالمين .

أبو براءة السيف

2009/9/28 م